الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة تخصص فلسفة تطبيقية

المذكرة الموسومة بعنوان:

نظرية تعارف الحضارات عند زكي الميلاد

الطالبة: غاوي يمينة

اشراف: د. شرماط فايزة

أعضاء لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة	الجامعة
العالم عبد الحميد	أستاذ مساعد أ	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
شرماط فايزة	أستاذ محاصر ب	مشرفة ومقررة	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
شويني علي	أستاذ مساعد أ	مناقشا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية:

2022/2021 م

1443/1442 هـ

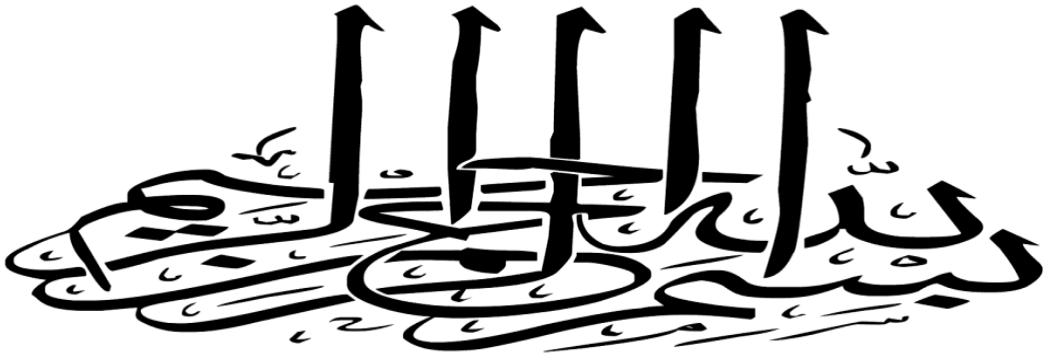

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُم شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

[الحجرات، الآية 13]

الإهداء

إلى روح أختي الطاهرة "سر الهدى" جعلها الله من أهل الفردوس الأعلى

إلى كل عائلتي

إلى ريحانتي قلبي بنتاي " هداية وهاجدة "

شكر وعرفان

الحمد والشكر لمن زودني بالقوة والصبر لإتمام هذا العمل المتواضع ، فسبحانك ربي رب العزة عما يصفون

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور زكي عبد الله أحمد الميلاد ، الذي جعلني أزور معالم الحقيقة وقدم لي يد المساعدة سواء بتزويدي بالمصادر الضرورية لإتمام هذا العمل أو بإجاباته عن تساؤلاتي طيلة سنة كاملة .

شكر وتقدير

أتقدم بخالص شكري وامتناني إلى التي أبقتني تحت ضلال المعرفة بنصائحها الدكتورة شرماط فائزة

والى كل من ساعدني في إخراج هذه المذكرة من وجود بالقوة إلى وجود بالفعل

كما أتقدم بكل عبارات التقدير والاحترام الى لجنة المناقشة : الدكتور العالم عبد الحميد رئيسا ، والدكتور شويني علي عضوا مناقشا

المقدمـــــة

المقدمة

تعتبر العلاقات الإنسانية من أهم مواضيع فلسفة التاريخ والحضارة ، فمنذ أن خلق الله الأرض ومن عليها وشكل العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان يتراوح بين الاستقرار والثبات مرة والتدهور والتغير مرة أخرى في حالة من الحرب والسلم ، الغلبة فيها كانت دائما للأقوى لكن هذه الوضعية تغيرت في العصر الراهن ، إذ يشهد العالم اليوم تطورات وتحولات متلاحقة تعبر عن منعطف تاريخي جديد ، يتحكم فيه الانتشار الرهيب للتكنولوجيا ووسائل الإعلام والاتصال التي ساهمت في انفتاحه وخروجه من دائرة الدول الضيقة إلى مستوى الكونية والعالمية .

هذه الحركية أثرت على شكل العلاقات بين الناس ، أفرادا أو جماعات ، أمما أو حضارات ، فأضحت الحياة يحكمها منطق التجاذب والتنافر ، الهدوء والصراع بوتيرة أكثر تسارعا شدت الأبصار والعقول على حد السواء ، مثلت نقطة فاصلة في تاريخ الإنسانية من الناحية الحضارية ، وأوقعت فلاسفة التاريخ في مأزق مفاهيمي معقد ، إذ باتت المفاهيم تتهاوى وتتساقط وكأن معجم المصطلحات يعاني وضعية عدم الاستقرار فما إن تظهر فكرة حتى تنازعها فكرة أخرى لدرجة أن البعض وصل بالعالم إلى نهاية التاريخ .

أمام هذا الوضع المتأزم و هذه الظروف الحرجة كان لزاما على الفكر البشري أن يتوقف مليا ، ويركن إلى التأمل العقلي بتوظيف مختلف المعارف عله يجد حلا لهذا الوضع الذي انزلقت فيه البشرية قاطبة ، وبما أن العالم الإسلامي يمثل كفة لها وزنها ، فإنه ليس بمنأى عما يحدث حوله، بل إنه في قلب الحدث خصوصا في ظل تنامي الأفكار المتطرفة ، التي غيرت من صورته وجعلته يظهر وكأنه الأكثر عداوة والأشد إرهابا ، دفعت البعض إلى الدخول معه في صدام وصراع حضاريين.

هذه الأفكار وجدت الأرضية الخصبة لتنمو وتتطور وذلك بعد انهيار المعسكر الشيوعي ، والخروج من دائرة الصراعات الإيديولوجية إلى نوع جديد من الصراع ، هو الأكثر شراسة لأنه أدخل كل الأقطاب الحضارية دون استثناء في صدام دائم ،حمل تسمية صدام الحضارات ، الصدام الذي نظر له المفكرون الغربيون بهدف جعل العالم في حالة تنافر يلغي فيه الطرف الغربي الأطراف الأخرى وبالتحديد الطرف العربي الإسلامي .

وبذلك دخل العالم مرحلة جديدة خصوصا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 م، التي وجهت أصابع الاتهام فيها إلى العالم الإسلامي، فكانت بمثابة إعلان حرب حضارية جديدة.

عموما حدث ما حدث وما على العالم اليوم إلا التفطن لما هو آت ، وبالتحديد عالمنا نحن ، الطرف الأكثر تأثرا وأهمية في صيرورة الأحداث ، الأمر الذي يجعلنا نستحضر مرت به الحضارة الإسلامية من تطورات وما حققته من إنجازات وما أصابها من تدهور على أسوار الأندلس

إلى جانب ذلك فقد شهدنا عصرا من أجود عصورنا الحديثة ، إنه عصر النهضة ، الذي ليس ببعيد عنا اليوم عصر أظهر قوة الفكر العربي الإسلامي ، وقدرته على إمكانية تجاوز الضعف والانحطاط الذي خيم على الحضارة الإسلامية ، وهو العصر الذي استطاع فيه المصلحون بلورة مفاهيم نهضوية و إصلاحية و حداثية حاولت النهوض بالحضارات وتوجيهها نحو التقدم.

وفي هذه الأزمنة المعاصرة ظهرت العديد من الأفكار والأطروحات الإصلاحية والتجديدية التي حاولت من جديد النهوض بالحضارة الإسلامية مرتكزة على الأصول ومتمسكة بالثوابت ، نذكر منها ما قدمه المفكر السعودي " زكي الميلاد" من خلال نظرية " تعارف الحضارات" التي هي موضوع بحثنا.

- **ضبط الإشكالية :**

فيما تتجلى الأبعاد الحضارية لمسألة التعارف في فكر زكي الميلاد ؟ وكيف يمكن لها تجاوز الأزمة الراهنة في ظل الصراع القائم بين الأقطاب الحضارية ؟ وعلى هذا الأساس تتفرع عن ذلك جملة من المشكلات الفرعية تتحدد في جملة من التساؤلات منها: ما هو مفهوم الحضارة ؟ وما هي المفاهيم المرتبطة بها ؟ ما هو مفهوم التعارف وما هي أبعاده ؟ وكيف تجسد هذا المدلول في الواقع العربي والإسلامي ؟ .

- **أهمية الموضوع:**

يستمد موضوع البحث أهميته من خلال ما يلي:

1- إن المشاريع الحضارية التي ظهرت حديثا على الساحة العربية أو حتى الغربية تسعى كلها إلى محاولة وضع حلول لمختلف المشاكل الحضارية ، ولأن الموضوع على قدر عال من الأهمية ، فإن أبواب البحث فيه مازلت مفتوحة ، وكل يوم يحمل الجديد لما تجود به قريحة المفكرين في هذا المجال .

2- إن نظرية تعارف الحضارات كموضوع يمكن إدراجه ضمن فلسفة التاريخ والحضارة ،إضافة إلى كونه يتصل بإطار مشروع ثقافي حضاري ، فهو يستمد أهميته من مرتكزات النظرية ، إذ لأول مرة تتم صياغة نظرية على

أسس قرآنية لا يمكن التشكيك في صحتها ، خصوصا وأن العالم الإسلامي بحاجة ماسة إلى إيجاد حلول نابعة من ذاتيته.

3- إن ما قدمه زكي الميلاد جاء بعد نقده للأطروحات التي يقول عنها أنها تنتمي لحقل الدراسات الغربية فإذا كان الغرب قد أقحم العالم بأسره في حرب حضارية ، فإن من واجبنا كمسلمين وكطرف عانى ومازال يعاني من ويلات هذا الصراع ، البحث عن حلول مناسبة للخروج من هذا الوضع ، ذلك وأن ديننا يدعو إلى احترام الآخر ويحث على تفعيل العيش المشترك وتعزيز التسامح .

- الهدف من الموضوع :

بناء على ما سبق يمكن حصر الهدف من هذه الدراسة فيما يلي:

أولا : تسليط الضوء على نظرية تعارف الحضارات ،ومع أن فكرة التعارف كانت موجودة من قبل كتسمية مفردة ،لكنها لم ترتق إلى مستوى النظرية مقرنة فكرة التعارف بفكرة الحضارات إلا مع زكي الميلاد الذي ربطها بالأصل القرآني متميزا بطريقة صياغتها ما جعلها ترتقي إلى مستوى النظرية.

أولا : محاولة مني في المساهمة ولو بالقلم في نشر هذه الفكرة بين الأوساط الأكاديمية ، حتى تكون مرجعا يعود إليه الباحث لفهم العلاقة بين الحضارات سعيا لتجاوز الطرح الكلاسيكي المنحصر بين الصدام والحوار الحضاري ، إلى طرح جديد يعبر عن قدرة المفكر العربي على الإبداع وتجاوز ما هو سائد جاهز.

- أسباب اختيار الموضوع :

تعتبر هذه الخطوة الأهم بالنسبة لي في مسيرتي العلمية ، ذلك لأنني وجدت في هذا الموضوع ضالتي التي لطالما بحثت عنها لذلك يمكنني الحديث عن الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع والتي تتراوح بين عوامل ذاتية وأخرى موضوعية وهي:

أولا: إن السبب الرئيس الذي دفعني لهذا الاختيار هو شعوري بالألم والحزن والإحباط لما آل إليه وضع الأمة الإسلامية من انحطاط وتدهور مع أنها أمة القرآن ، وجميع الحلول متاحة أمامها للخروج من هذا الوضع المزري لذلك بحثت مطولا - متأثرة بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم—عن فكرة توصلنا إلى حل من داخل القرآن

الكريم ، حتى استوقفني موقف الأستاذ " زكي الميلاد " الذي لم يمر اسمه على مسامعي سابقا لكن بعدما تعرفت إلى أطروحته وجدتها تجيبني عن تساؤلاتي السابقة .

ثانيا :أما عن السبب الثاني وهو لا يقل أهمية عن سابقه، ما لاحظته بين أوساط الباحثين من إعجاب مفرط بالفكر الغربي لدرجة أن أسماء الأعلام الغربيين باتت تستهويهم ، وكأنه اعتزاز بالآخر وشعور بدونية الذات العربية الإسلامية لهذا سلطت الضوء على الأستاذ زكي الميلاد كاسم عربي إسلامي ، متجاوزة التمذهبات الموجودة داخل العالم الإسلامي ، يكفي أنه مفكر مسلم ، اجتهد في إثراء الفكر الإسلامي والعربي.

ثالثا : وأخيرا لطالما أعجبت بالأعمال الحضارية عند الدكتور "محمد عمارة " والدكتور "حسن حنفي" – رحمهما الله– لذا فقد شد انتباهي العمل الذي قدمه الأستاذ زكي الميلاد ، كعمل لأول مرة يطرح في العالم العربي الإسلامي كما لأول مرة تتم مناقشة مذكرة حول تعارف الحضارات في جامعتي ، فكان دافعي توضيح معنى هذه النظرية التي ربما تكون منطلقا لأبحاث غيري مستقبلا ، فأسهم بذلك في نشرها على الأقل على مستوانا الجامعي المحلي .

- **خطة البحث :**

للإجابة عن إشكالية هذا البحث كان لابد من رسم خطة عمل منهجية نسير وفقها، لذلك قسمت مادته إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

- في المقدمة تمت الإحاطة بالموضوع ،وجرى ضبط الإشكالية التي كانت بحاجة إلى خطة عمل قائمة على منهج يساعد على تحقيق الهدف ، موضحة بذلك أسباب اختيار الموضوع وبينت أهميته وأهدافه و كشفت عن المصادر المعتمدة ، وأخيرا الصعوبات التي واجهتني أثناء إعداد البحث.

- الفصل الأول: جاء بعنوان (التحديد الفلسفي لمفهوم الحضارة والتعارف) تطرقت فيه إلى السيرة الذاتية للمفكر زكي الميلاد ، وخصصت المبحث الأول لضبط مفهوم الحضارة لغة واصطلاحا عند العرب والغرب وقد كان لزكي الميلاد حصة الأسد في العودة إلى ضبط هذا المفهوم ، ولأن مفهوم الحضارة كثيرا ما يختلط بمفهومي الثقافة والمدنية فقد عمدت إلى ضبط المفهومين من وجهة نظر زكي الميلاد وأنهيت الحديث بتوضيح نقاط التشابه والاختلاف بين مفهوم الحضارة و الثقافة و المدنية .

أما المبحث الثاني فقد دار موضوعه حول ضبط مفهوم التعارف ، إذ عمدت إلى الضبط اللغوي والاصطلاحي مستعينة في ذلك برأي المفسرين ، ذلك لأن التعارف عند زكي الميلاد يرتبط بالقرآن الكريم في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَر وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات الآية 13.

في هذا المبحث كان لزكي الميلاد حضورا ، بوصفه صاحب نظرية التعارف التي هي محل النقاش ، خاصة ولكونها تقترب من مفهوم التواصل ، لذلك تم ضبط مفهوم التواصل مع توضيح الفروقات بينه وبين التعارف .ولأن الميلاد له بعض المفاهيم الأخرى التي تتصل بنظرية التعارف مثل المشروع الثقافي والمسألة الحضارية لذلك تم التطرق لهذه المفاهيم حسب وجهة نظر زكي الميلاد.

– الفصل الثاني: حمل هذا الفصل عنوان(تعارف الحضارات الطرح البديل عن الصدام والحوار الحضاري) خصصت له مبحثين ، الأول تطرقت فيه لفكرتي الصدام والحوار الحضاري شرحا وبيانا ثم عرضت انتقادات زكي الميلاد لهما على اعتبار أنه خلال بحثه عن حل لمشكلة العلاقة بين الحضارات ركز على فحص ونقد الأطروحتين السابقتين لتكون أطروحة التعارف بديلا عنهما .

أما المبحث الثاني فكان موضوعه: (نظرية تعارف الحضارات من المرتكزات إلى العوائق)، تم فيه عرض مرتكزات النظرية مع تقديم نموذج تطبيقي عن التعارف وهو التعارف في الحج، ثم تعرضت للعوائق التي تعترض النظرية والحلول الممكنة لهذا ثم بينت أهمية النظرية وأهدافها.

– الفصل الثالث: بعد عرض النظرية موضوع البحث عرجت إلى الحديث عن بعض المقاربات النقدية وعنونت الفصل بعنوان: (مقاربات نقدية حول نظرية التعارف)، وتم تقسيمه إلى مبحثين ، تعرضت في المبحث الأول إلى نماذج من المفكرين الذين كان لهم رأي حول نظرية تعارف الحضارات ، نذكر منهم :
* الدكتور محمد كمال الدين إمام.* الدكتورة نادية مصطفى.* منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (الآيسيسكو).* الدكتور محمد عمارة .

أما المبحث الثاني فقد تناول نظرية تعارف الحضارات من ناحية امتدادها في العالمين العربي والإسلامي وكيف جرى الاهتمام بها على مستويات عدة مثل :الندوات والمؤتمرات والمناهج الدراسية التي تطرقت للنظرية .

– وفي الخاتمة : حوصلت فيها مختلف النتائج التي توصلت إليها في البحث .

– منهج البحث :

لتفعيل هذه الخطة وانجازها حاولت قدر المستطاع إتباع المنهج التحليلي وذلك لعرض مختلف الأفكار التي حاول زكي الميلاد إبرازها في نطاق حديثه عن نظرية التعارف، أضف إلى ذلك العمل على ضبط وتحليل المفاهيم التي يقوم عليها البحث.ولبيان موقفي ووجهة نظري من مختلف المحطات الواردة في البحث، فقد اعتمدت على المنهج النقدي الذي يعتبر خاصية من خصائص الفلسفة في العصر الحديث.

– الدراسات السابقة :

لقد نوقشت العديد من الرسائل حول نظرية تعارف الحضارات ، سواء في داخل الجزائر أو خارجها وكان أهمها في نظري رسالة الماجستير للباحثة الجزائرية" شبلي هجيرة" الموسومة بعنوان (إشكالية مستقبل العلاقة بين الحضارات زكي الميلاد نموذجا) المناقشة سنة 2013م ، لكن ما لاحظته على هذه الرسالة أنها اكتفت بعرض النظرية فقط ، وهذا ما حاولت أن أتجاوزه من خلال دراستي المتواضعة ، إذ عمدت إلى توضيح نموذج تطبيقي للنظرية وهو نموذج حي وفعال " التعارف في الحج" استنادا إلى مقال لزكي الميلاد ، خصصه لهذه القضية من ناحية تعارف الأمة مع نفسها .في هذا المقال عبر فيه الميلاد أحسن تعبير عن نظرية التعارف داخل الأمة الإسلامية ، فقد كان مقالا شيقا وخاصة في طريقة عرضه ، إذ ربطه بآيات من الذكر الحكيم مبينا الحكمة من الحج التي تتجاوز مجرد الرغبة في المغفرة والعتق من النار، إلى هدف أسمى ناظرا إلى أن الناس بمختلف أطيافهم ومذاهبهم ولغاتهم وألوانهم مجتمعون في مكان واحد ، على قلب واحد ،تربط بينهم علاقة تسامح وتعايش ، يسعون إلى تعارف إيجابي له علاقة بنظرة الأمة إلى ذاتها ونهضتها .

أما الإضافة الأخرى التي حاولت تقديمها – ولكل عمل إذا ما تم نقصان – تمثل في رصد قمت به لمعرفة مدى انتشار النظرية في العالمين العربي والإسلامي، وذلك من خلال تقديم بعض النماذج عن الملتقيات والندوات والمؤتمرات العلمية والفكرية التي تطرقت بالحديث عن نظرية تعارف الحضارات.

– المصادر المعتمدة:

بشأن المصادر فقد اعتمدت على بعض المصادر التي زودني بها الأستاذ زكي الميلاد وكان أهمها: كتاب " تعارف الحضارات " الصادر سنة 2006 م الذي يظم مجموعة من المقالات الأولى المنشورة عن النظرية

وكتاب"تعارف الحضارات.. رؤية جديدة لمستقبل العلاقات بين الحضارات" الصادر سنة 2014م ويظم الأوراق المقدمة لمؤتمر الإسكندرية حول تعارف الحضارات، إضافة إلى كتاب " المسألة الحضارية..كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير" الذي قدم فيه الميلاد شرحا تفصيليا للنظرية، وكذا كتاب " نحن والعالم.. من أجل تجديد رؤيتنا إلى العالم" الصادر في طبعته الثانية سنة 2013م، إضافة إلى العديد من المقالات و الدراسات الأخرى المنشورة خصوصا في مجلة (الكلمة).

- **صعوبات البحث:**

كأي عمل أكاديمي لا يخلو إعداد البحث من وجود صعوبات وعوائق تواجه الباحث وهي قليلة نذكر منها:

1- كثرة المواضيع التي تعالج مسألة التعارف، والأمر الذي وضعنا في مأزق إمكانية توفر المادة المعرفية والتحكم في ثنايا الموضوع بحثا ودراسة.

2- تداخل جملة من المفاهيم مثل (التعارف، التواصل ، الحوار ...الخ) ما فرض علينا البحث عن مفارقات دلالات هذه المفاهيم وضبطها في حقلها الفلسفي .

لكن استطعت تجاوز هذه الصعوبات من خلال تواصلي مع الأستاذ زكي الميلاد، الذي كان يزودني بين الفينة والأخرى بمختلف المصادر الضرورية، كما رافقني خلال بحثي بإجاباته على كل تساؤلاتي حول بعض الأفكار التي لم تكن واضحة بالنسبة لي.

الفصل الأول

الفصل الأول : التحديد الفلسفي للحضارة والتعارف

- المدخل
- السيرة الذاتية لزكي الميلاد

المبحث الأول : مفهوم الحضارة ، الثقافة والمدنية

أولا : المفهوم اللغوي للحضارة

ثانيا : المفهوم الاصطلاحي للحضارة

ثالثا : المفهوم التداولي للحضارة

رابعا : علاقة الحضارة بالثقافة والمدنية

المبحث الثاني : مفهوم التعارف ، التواصل ، المشروع الثقافي والمسألة الحضارية

أولا : المفهوم اللغوي للتعارف

ثانيا : المفهوم الاصطلاحي للتعارف

ثالثا : علاقة التعارف بالتواصل

رابعا : المشروع الثقافي والمسألة الحضارية

المدخل

إن البحث في الحضارة ومحاولة ضبط مفهومها من المواضيع الهامة والشيقة التي سال حولها حبر الكثير من المفكرين العرب والغرب على حد السواء ، خاصة في ظل وجود جملة من المفاهيم التي قد تزاحمها على مستوى الدلالة الاصطلاحية أو التداولية ، ونذكر منها الثقافة والمدنية ، وربما يحيلنا هذا التداخل الى الإقرار بأن الحضارة موضوع إشكالي بالدرجة الأولى ، وذلك لارتباطه بالعلاقات الإنسانية التي هي بدورها موضوع بحث للعديد من الأطروحات الحضارية التي ظهرت في العصر الحالي، على غرار صراع الحضارات لصامويل هنتنجتون ، حوار الحضارات لروجيه غارودي، تدافع الحضارات لمحمد عمارة...ونظرية تعارف الحضارات للمفكر السعودي زكي الميلاد ، فمن هو زكي الميلاد ؟ وما هو مفهوم الحضارة والتعارف عنده؟

السيرة الذاتية لزكي الميلاد :

- زكي عبد الله أحمد الميلاد.
- من مواليد سنة 1385هـ/1965م، محافظة القطيف، شرق المملكة العربية السعودية.
- ينحدر من أصول عربية ، درس المرحلتين الابتدائية والمتوسط في مدينة القطيف ، ثم سافر إلى طهران لدراسة العلوم الإسلامية ليكون متخصصا فيها ، وذلك ما بين 1981مو1990م[1].
- انتقلإلى الإقامة في العاصمة السورية دمشق سنة 1990م، وهذا الانتقال فتح له أفقا جديدا في مسار تطور تجربته الفكرية والثقافية ، فقد توسعت دائرة تواصله مع الساحة الثقافية العربية ، ومع النخب الفكرية فيها ، وكانت بيروت منطلق أعماله ، إذ كان يتردد عليها في زيارات قصيرة بشكل مستمر ، كما بدأ ينشر مقالاته في المجلات والدوريات الصادرة هناك .
- عاد الى السعودية سنة 1994م ، لكنه بقي يتردد على دمشق وبيروت لمتابعة بعض الأعمال [2] .
- تأثر بشخصية محمد إقبال ويتضح ذلك جليا من خلال عد الميلاد إقبال أجود من قدم نقدا للفكر والثقافة الغربية ، كما تأثر بشخصية مالك بن نبي وذلك من ناحية تحليله لفكرة الحضارة ، حيث نجده يشيد بأعمال مالك بن نبي في أكثر من موقع ، إضافة الى تأثره بشخص محمد باقر الصدر من ناحية بناء تصور الفكر الإسلامي الشامل ، وقد صرح الميلاد أن للسيد محمد باقر الصدر مكانة وجدانية ونفسية عنده لدرجة أنه حزن كثيرا عندما بلغه خبر موته، كما كان للشيخ مرتضى المطهري أثر كبير في شخصية الميلاد من ناحية مواكبة الجيل الجديد وتطلعاته الفكرية والثقافية ، وأولوية الاهتمام لقضايا العلاقة بين الاسلام ومتطلبات العصر [3] .

---

(1) مصطفى خليل خضير : أطروحات التجديد في الفكر السياسي العربي الإسلامي المعاصر زكي الميلاد أنموذجا ، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة ، ط1، 1439 هـ/2018م، ص 44.

(2) المرجع نفسه ، ص 46.

(3) المرجع نفسه ، ص 53.

- كاتب وباحث في الفكر الإسلامي والإسلاميات المعاصرة والدراسات الفكرية.
- رئيس تحرير مجلة (الكلمة)، فصلية فكرية تعنى بشؤون الفكر الإسلامي وقضايا العصر والتجدد الحضاري تصدر من بيروت، صدرت سنة 1993م، مضى عليها أكثر من ربع قرن.
- نال جائزة الكتاب السعودي فرع الفكر والفلسفة سنة 2017م، عن كتابه: (عصر النهضة.. كيف انبثق؟ ولماذا أخفق؟).
- نال الأستاذ زكي الميلاد عضوية العديد من المعاهد والجمعيات والمنتديات الفكرية والإسلامية العربية والدولية.
- تم اختيار الأستاذ زكي الميلاد لعضوية الهيئة الاستشارية لعدد من المجلات والدوريات الفكرية والثقافية الصادرة في مشرق العالم العربي ومغربه، وفي خارج العالم العربي.
- نشر الأستاذ زكي الميلاد ونشرت له مئات المقالات، وعشرات الدراسات، في أكثر من (90) منبرا ما بين صحيفة ومجلة ودورية، يومية وأسبوعية وشهرية وفصلية ونصف سنوية، صدرت في دول عربية وإسلامية وغربية عدة، منها: (السعودية، الكويت، قطر، البحرين، سلطنة عمان، اليمن، مصر، لبنان، سوريا، الأردن العراق، المغرب، الجزائر، إيران، ماليزيا، أفغانستان، بريطانيا، أمريكا).
- ترجمت للأستاذ زكي الميلاد الكثير من المقالات والدراسات إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والفارسية.
- إلى جانب هذه المقالات والدراسات، تمت ترجمة كتاب: (الفكر الإسلامي.. تطوراته ومساراته المعاصرة) ونشر في أربع حلقات مطولة في مجلة (العلوم السياسية)، وهي كما تعرف عن نفسها: مجلة فصلية متخصصة تصدر عن جامعة الإمام الباقر للتعليم العالي في مدينة قم الإيرانية.

الكتب والمؤلفات :

1/- الحركة الإسلامية ومعالم المنهج الحضاري.2/- تحولات الفكر والثقافة في الحركة الإسلامية.3/- مالك بن نبي ومشكلات الحضارة.4/- الحركة الإسلامية وآفاق العمل الفكري5/- الوحدة والتعددية والحوار في لخطاب الإسلامي المعاصر. 6/- الفكر الإسلامي بين التأصيل والتجديد. 7/- خطاب الوحدة الإسلامية.. مساهمات الفكر الإصلاحي الشيعي. 8/- الإسلام والغرب.. الحاضر والمستقبل. 9/- الجامع والجامعة والجماعة.. دراسة في المكونات المفاهيمية والتكامل المعرفي. 10/- المسألة الحضارية.. كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير ؟. 11/- الفكر الإسلامي قراءات ومراجعات. 12/- محنة المثقف الديني مع العصر13/- الفكر الإسلامي

تطوراته ومساراته المعاصرة14/- تجديد التفكير الديني في مسألة المرأة. 15/- من التراث إلى الاجتهاد.. الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد. 16/- المسألة الثقافية.. من أجل بناء نظرية في الثقافة. 17/- نحن والعالم.. من أجل تجديد رؤيتنا إلى العالم. 18/- تعارف الحضارات. 19/- الإسلام والمدنية.. حوارات حول الفكر الإسلامي قضاياه, ومسائله, وإشكالياته. 20/- الإسلام والإصلاح الثقافي. 21/- هاملتون جيب وكتابه الاتجاهات الحديثة في الإسلام. 22/- الإسلام والتجديد.. كيف يتجدد الفكر الإسلامي؟. 23/- محمد إقبال والتجديد الديني والفلسفي. 24/- هل المثقفون في أزمة؟. 25/- نحن والثقافة.. تأملات في مجالنا الثقافي ومستقبلياته. 26/- الحوار في القرآن الكريم.. نماذج ومبادئ. 27/- الإسلام والعولمة.. لماذا لا تكون العولمة مكسباً لنا؟. 28/- الإسلام والحداثة.. من صدمة الحداثة إلى البحث عن حداثة إسلامية. 29/- دراسات في تاريخ الفلسفة الإسلامية. 30/- الإسلام وحقوق الإنسان.. تطور الفكر الإسلامي المعاصر من التأصيل إلى التقنين. 31/- تجديد أصول الفقه.. دراسة تحليلية نقدية لمحاولات المعاصرين. 32/- السيد محمد باقر الصدر.. والتجديد الفكري والأصولي. 33/- الإسلام والنزعة الإنسانية.. كيف نعطي النزعة الإنسانية قوة المعنى؟. 34/- الإسلام والعقلانية.. ضد الجمود وضد الاستلاب. 35/- الإسلام والديمقراطية.. من الشك في الديمقراطية إلى البحث عن الديمقراطية الدينية. 36/- عصر النهضة.. كيف انبثق؟ ولماذا أخفق؟. 37/- الفكر والاجتهاد.. دراسات في الفكر الإسلامي الشيعي. 38/- مدخل إلى المسألة الفلسفية.. كيف نواجه معضلة الفلسفة؟. 39/- المستشرقون والفكر الإسلامي.. ثلاثة مناهج في دراسة الفكر الإسلامي. 40/- نقد إقبال.. كيف نقرأ إقبالا اليوم؟. 41/- فكرة الحضارة.. دراسة تحليلية في الكتابات العربية المعاصرة

42/- مقالة في التسامح.. كيف نعطي التسامح قوة التخلق؟. 43/- الحسين والأمة.. انبثاق حركة الإصلاح الأولى في الإسلام. 44/- التقريب والأمة.. كيف نواجه معضلة التقريب بين المذاهب؟[1].

- كما شارك الأستاذ زكي الميلاد في العديد من الكتب .

(1) http://www.almilad.org(12/05/2022)

المبحث الأول: مفهوم الحضارة، الثقافة والمدنية .

لقد مثل مفهوم الحضارة مادة بحث المفكرين منذ القديم ، ولعل هذه الأهمية أتت ثمارها بمشاريع حضارية ونظرات إستشرافية لمستقبل العلاقات الإنسانية ، وكخطوة مسبقة يجب التنويه لما لهذا المصطلح من تداخلات مع بعض المفاهيم الأخرى التي ربما قد توقع القارئ في بعض اللبس كمفهوم الثقافة ومفهوم المدنية لذلك وكحل مسبق سنعرج أثناء عرض مفهوم الحضارة على المفهومين سابقي الذكر. وكأي بحث ممنهج سنعمد إلى ضبط مفهوم الحضارة لغة ثم اصطلاحا ثم سنقف عند المفهوم التداولي.

أولا :المفهوم اللغوي للحضارة:

أ – عند العرب :

جاء في لسان العرب مادة حَضَرَ : الحُضورُ نقيض المَغيبُ والغَيْبَةُ ، حَضَرَ يَحْضِرُ حُضُورًا وحِضَارَةً فيقال: حَضَرَ هو حَضِرَةُ ، والحَضْرُ خلاف البدو والحاضِرُ خلاف البادي ، وفي الحديث : لا يبع حاضِرٌ لبادٍ: الحاضِرُ : المقيم في المدن والقرى ، والبادي المقيم بالبادية ، والحِضارَةُ: الإقامة في الحَضْر: والحضْرُ والحَضْرَةُ والحاضِرَةُ : خلاف البادية وهي المدن ، والقرى والريف ، سميت بذلك لأن أهلها حَضَروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار [1] .

من خلال هذا المفهوم نستنتج أن الحضارة في اللغة العربية ترتبط بالاستقرار الذي لا يكون إلا في المدن أين تكون الظروف ملائمة لإقامة علاقات اجتماعية مستقرة ، أما البادية فصفة أهلها الترحال وعدم الاستقرار مما يؤدي إلى عدم القدرة على تشكيل علاقات بين الأفراد .

ب – في اللغات الأوروبية (Civilization):

يعود أصل الكلمة الأوروبية (Civilization) إلى الجذر اللاتيني Civites بمعنى مدنية وCivis بمعنى ساكن المدينة أو Civilis بمعنى مدني أو ما يتعلق بساكن المدينة أو Citizen وهو ما يعرف به المواطن الروماني المتعالي على البربري ، ولم يشتق منها (Civilization) حتى القرن الثامن عشر [2] .

---

(1) ابن منظور : لسان العرب، حرف باب الراء ، ج4، بيروت، دار صادر، ط 1 ، 1955، ص ص 197/196.

(2) نصر محمد عارف:الحضارة ، الثقافة ، المدنية، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،ط2،1994،ص 15.

نلاحظ من خلال مفهوم الحضارة في اللغات الأوروبية أنهم أيضا ربطوا الحضارة بالعيش في المدن ، أين تكون الحياة أكثر تنظيما .

ثانيا : المفهوم الاصطلاحي للحضارة:

بناء على ما سبق من تقسيم للمفهوم اللغوي عند العرب والغرب سنعمد إلى نفس النهج في المفهوم الاصطلاحي.

أ – عند العرب :

*** جميل صليبا:**

(إن استعمال هذا اللفظ قديم وأن أول من أطلقه على معنى قريب من معناه الحاضر هو ابن خلدون ... وللحضارة عند المحدثين معنيين، معنى موضوعي وآخر ذاتي... أما المعنى الموضوعي فهو إطلاق لفظ الحضارة على جملة من مظاهر التقدم الأدبي والفني والعملي والتقني ... وأما الحضارة بالمعنى الذاتي المجرد فتطلق على مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني المقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش أو تطلق على الصورة الغائية التي نستند إليها في الحكم على صفات كل فرد أو جماعة) [1].

*** ابن خلدون:**

(الحضارة إنما هي تفنن في الترف وأحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله)[2] تعتبر الحضارة عند ابن خلدون مرحلة من مراحل العمران البشري وقد شبهها بحياة الإنسان التي تبدأ بمرحلة الطفولة يقابلها البداوة وتنتهي بالشيخوخة وهي مرحلة الانهيار، أما المرحلة الوسطى فهي مرحلة الشباب وتقابلها الحضارة ويمكن تقصي معنى هذا القول لنصل إلى أن الحضارة هي تلك المرحلة التي يصل فيها الإنسان إلى تحقيق كماليات الحياة من ترف وتطور وأن الناس متفاوتون في الحضارة لذلك يقول ابن خلدون (أن كل واحد من البدو والحضر متفاوت الأحوال من

(1) جميل صليبا ، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، 1982، ص ص 476/475.

(2) ابن خلدون: مقدمة – كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1، 1999، ص 160

جنسه : فرب حي أعظم من حي ، وقبيلة أعظم من قبيلة ومصر أوسع من مصر ومدينة أكثر عمرانا من مدينة)[1] .

إذن ربط الحضارة بالترف يجعل منها على أبواب الانهيار ، لذلك نجده يقول (والجيل الثاني تتحول حالهم بالملك والترف من البداوة إلى الحضارة ...ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة ... وتؤنس منهم المهانة والخضوع ...) [2] فالحضارة حسب هذا القول من جهة تعني التطور ومن جهة أخرى هي بداية الانهيار والانحطاط .

***مالك بن نبي :**

لقد حدد مالك ابن نبي مفهوم الحضارة من جوانب متعددة ،إذ عرفها من جانبها البنيوي الذاتي أي العناصر التي تكونها فقال (الحضارة = إنسان + تراب + وقت ، وتحت هذا الشكل تشير الصيغة إلى أن مشكلة الحضارة تنحل إلى ثلاث مشكلات أولية : مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت، فلكي نقيم بناء حضارة لا يكون ذلك بأن نكدس المنتجات ، وإنما بأن نحل المشكلات الثلاث من أساسها)[3].

إن هذه العناصر لابد أن تترابط فيما بينها لتحقيق الفعل الحضاري (فالحضارة ل اتظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء يكون للناس شرعة ومنهاجا ... فكأنما قدر للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية)[4].

وربما هذا هو السبب في أن القرآن الكريم يدعو إلى التأمل في سير السابقين من الأمم ، وذلك حتى يدركوا كيف تتركب الكتلة المخصبة من الإنسان والتراب والوقت[5] يبدو جليا أن مالك بن نبي يربط ظهور الحضارة وقيامها بالدين، فكلما ظهر دين إلا وأعقبته حضارة فالدين الإسلامي كان إعلانا عن ميلاد أعظم الحضارات في التاريخ بعد أن كان الإنسان في شبه الجزيرة يمثل البدوي الذي يعيش في الصحراء القاحلة والذي لا يقدم شيئا بل إن وقته كان ضائعا، وبمجرد مجيء الدين نشأت الحضارة فالدين إذن بمثابة الشرارة لهذه

(1)ابن خلدون : المرجع السابق ، ص 116

(2) ابن خلدون، المقدمة: نقلا عن علي عبود المحمداوي، خطاب الهويات الحضارية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2019، ص 24 .

(3) مالك بن نبي: شروط النهضة، تر عبد الصبور شاهين، دار الفكر ، دمشق، 1996 ، ص 45.

(4) المرجع نفسه ، ص 52.

(5) المرجع نفسه، ص 52.

العناصر سابقة الذكر ، هذا بالنسبة إلى الجانب البنيوي ، أما من جانب الوظيفة فقد عرف مالك بن نبي الحضارة فقال (إن الحضارة يجب أن تحدد من وجهة نظر وظيفية فهي مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه)[1]. أي إذا كان مجتمع ما يستطيع في مرحلة تاريخية معينة تقديم وتوفير هذه الشروط المادية والأخلاقية التي تتيح للفرد أن يمارس دوره الطبيعي فإن المجتمع يعيش حالة حضارة .

*** نصر محمد عارف:**

قدم مفهوم جديد ربط فيه المعنى اللغوي كما ورد في لسان العرب بالمعنى الوارد في القرآن الكريم وخلاصته (الحضور الدائم والتجدد ، ويرد في القرآن الكريم هذا اللفظ مرادف للفظ شهد حيث يقول الله سبحانه وتعال﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾البقرة185)[2] أي حضر مجيء الشهر وشاهده ويؤدي لفظ الشهادة في القرآن دلالات أربع تتكامل فيما بينها ، وتتحد لتؤدي معنى الحضارة أو الشهادة في الفهم الاسلامي. وهذه الدلالات هي:

- الشهادة بمعنى التوحيد والإقرار بالعبودية لله.
- الشهادة قول الحق وسلوك طريق العدل.
- الشهادة بمعنى التضحية والفداء وتقديم النفس في سبيل الله.
- الشهادة كوظيفة لهذه الأمة .

وعليه فالحضارة بالمعنى القرآني هي الحضور والتجدد والشهادة والفاعلية والخيرية [3]

*** زكي الميلاد :**

من خلال حديثنا عن مفهوم الحضارة لاحظنا أنها اختلفت من مفكر لآخر لذلك نجد أن زكي الميلاد ستكون له وجهة نظر أخرى ، مرة بالجمع بين الآراء ، وأخرى بإبداع مفاهيمي جديد فهو من جهة يقر بما

(1) مالك بن نبي :آفاق جزائرية، تر الطيب الشريف، مكتبة النهضة الجزائرية، ط4، ص 46

(2) نصر محمد عارف: نظريات التنمية السياسية المعاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار القارئ العربي ،مصر، 1994، ص ص 76/75.

(3) المرجع نفسه، ص 77.

ورد في لسان العرب الذي اعتبر الحضارة بمعنى الحضور أي نقيض المغيب والغيبة، ومن جهة أخرى يستشهد برأي الدكتور نصر محمد عارف الذي رد الحضارة إلى التجدد والحضور والشهادة والفاعلية والخيرية أما عن دلالة الحضارة بمعنى الحضور فلزكي الميلاد تحليله الخاص الذي نستعرضه في النقاط التالية :

– الحضارة بمعنى القدرة على الحضور وليس مجرد رغبات وتطلعات لا علاقة لها بالواقع .

– الحضور بمعنى أن تكون الأمة ويكون المشروع الحضاري في مستوى العصر ومتطلباته ومقتضياته وما وصل إليه من تقدم ، وهو من جهة أخرى مواكبة للتغيرات الحادثة في العالم فالحضور إذن هو مواكبة هذه الحركية.

– يرتبط الحضور بما يحدث في العالم من تغيرات أي الانفتاح والتفاعل والتواصل مع هذا العالم. لذلك يقول (إن التقدم لا ينجز ولا يتحقق في ظروف الانغلاق أو الجمود أو الانكماش)[1].

– الحضور : القدرة على التجدد المتواصل وعلى النمو الدائم وعلى التقدم الذي لا يتوقف ، وهذا هو الذي يصنع الحضور الفعلي والحقيقي ، ويكون فاعلا ومتحققا على الأرض ، ويفرض على الآخرين الاعتراف به والتعامل وفق منطقه ومعادلاته.

– الحضور بمعنى المسؤولية وتحملها على مستوى العصر والعالم، وهو ما يظهر في قوله تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[آل عمران، الآية104] وكذلك قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة، الآية 143][2].

من خلال هذه النقاط نستنتج أن زكي الميلاد حاول الخروج عن المعنى اللغوي للحضور إلى ربط هذا الفعل بالمشاركة والانفتاح والاندماج في العالم ومواكبة تطوراته. كما يذكر الميلاد أن الحضارة بمعنى الحضور يختلف إذا ما اعتبرنا الحضارة بمعنى الحضر أي خلاف البدو فالحاضر هو المقيم في المدن والقرى ، والبادي هو المقيم في البادية وهي الفكرة التي تطرق لها ابن خلدون سابقا [3].

---

(1) زكي الميلاد : المسألة الحضارية كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط2، 2008، ص 181.
(2) المصدر نفسه، ص 182.
(3) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

لكن هذا الاختلاف لا يعني التنافر وإنما بالإمكان التقريب بين المفهومين ، وذلك إذا اعتبرنا أن (مجتمع البدو والبداوة ليس له حضور بالمعنى المعنوي ، وليس له حاضرة بالمعنى الوجودي ، لأنه مجتمع لا يعرف الاستقرار والتوطن... بعكس المجتمع الحضري الذي يؤسس حياته على الاستقرار والتوطن فهو مجتمع حاضر بالمعنى الوجودي وبإمكانه أن يصنع حضوره المعنوي)[1] فمن خلال هذه المقارنة بين البدو والحضر نخلص إلى اعتبار مبدأ الاستقرار عند الحضري يحيل إلى الحضور والارتباط المكاني .

ثم إن المجتمع البدوي يعيش في المناطق المقطوعة لا تربطه بالمجتمعات الأخرى علاقة لأن الصحراء تحيط به من كل الجهات ، هذا الانغلاق يجعله بعيدا عن الحضور بمعنى الانفتاح على الآخر . (ويقابل ذلك المجتمع الحضري الذي يتوطن عادة بقرب الأنهار والبحار ، وفي الأزمنة القديمة كانت الأنهار والبحار تمثل أهم وسائل الاتصال الحيوية بين الأمم)[2] إذن بإمكان الحضري الاتصال بالعالم الخارجي مما يجعل له حضورا دائما وإطلاع على ما يحدث خارج رقعته الجغرافية .

وإذا كانت صفة البدو هي الترحال وعدم الاستقرار في مكان واحد ، وإذا كانت (الحضارات تنشأ نتيجة تراكمات متواصلة من العطاء والبناء والإنماء والتقدم)[3] فإن هذا التعارض يجعل من البدوي غير قادر على تأسيس حضارة ، على النقيض من الحضري الذي يمتلك مقوم الاستقرار وبالتالي بإمكانه بناء هذه الحضارة بتعاقب الأجيال .

من خلال هذه المقاربة بين المفهومين استطاع زكي الميلاد جعل المفهوم الخلدوني للحضر والبدو يصب في قالب المفهوم اللغوي للحضور حيث يقول (ومن هنا نصل إلى أن مفهوم الحضاري هو المفهوم الذي يحقق الحضور بالدلائل والأبعاد المذكورة)[4].

(1) زكي الميلاد :المصدر السابق ، ص 183.

(2) المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه ، ص 184.

(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

ب – عند الغرب :

*** أندريه لالاند :**

الحضارة (المدنية) civilization (إن حضارة ما، هي مجموعة ظواهر اجتماعية مركبة ذات طبيعة قابلة للتناقل ، تتسم بسمة دينية أخلاقية ، جمالية فنية ، تقنية أو علمية ومشتركة بين كل الأجزاء في مجتمع عريض أو عدة مجتمعات مترابطة : الحضارة الصينية، الحضارة المتوسطية)[1]إذن فالحضارة هي مجموعة الظواهر الاجتماعية أو هي ذلك التطور الذي يشمل جميع مناحي الحياة في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات مترابطة .

*** أرنولد توينبي :**

يعرف الحضارة بقوله (إنها كيان اجتماعي موحد قابل للفهم بمعزل عن جميع الظواهر الاجتماعية التي قد تبرز في بعض أجزاء هذا الكل الاجتماعي العضوي ، فهي وحدة حضارية تهيئ للدارس أن يفهمها فهما يعبر منه إلى تعيين وتحديد عوامل نشوء هذا الكل وعوامل اندثاره أيضا)[2] نفهم من خلال قوله عن الحضارة أنها تنشأ كرد فعل لعوامل خارجية أو قد تكون داخلية ، فالمجتمع البشري يواجه في حياته صعوبات تحتم عليهم واجهتها ، فإذا عجز المجتمع على مواجهة هذه التحديات فقد سمعته واستقراره وأما إذا نجح في مواجهته في حينها يكون قد أرسى معالم الاستقرار ومنه تبدأ شمس حضارته بالبزوغ.

*** البرت شفيتزر :**

يعرف الحضارة في قوله (إن العناصر الجمالية والأتساع الرائع في معارفنا المادية وقوانا كل هذا لا يكون جوهر الحضارة ، وإنما يتوقف هذا الجوهر على الاستعدادات العقلية عند الأفراد والأمم ...إن الحضارة هي التقدم الروحي للأفراد والجماهير على السواء)[3] يبدو من خلال هذا القول أن شفيتزر ربط الحضارة بالقيم الروحية والأخلاقية وهو ما يظهر في نص آخر عندما يقول (أنها بكل بساطة معناها بذل المجهود بوصفنا

---

(1) أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل احمد خليل، مجA_G1، منشورات عويدات، بيروت– لبنان، ط2، 2001، ص 172.

(2) إسماعيل محي الدين : توينبي منهج التاريخ وفلسفة التاريخ، نقلا عن علي عبود المحمداوي، خطاب الهويات الحضارية، دار الأمان، مرجع سابق ص 23 .

(3) عطية فتحي الويشي : الحضارة وإشكالية المصطلح، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، العدد 16، 1990، طرابلس، ص 376.

كائنات إنسانية من أجل تكميل النوع الإنساني ، وتحقيق التقدم من أي نوع كان في أحوال الإنسانية)[1] فهدف الحضارة عند شفيتزر يكمن في إيجاد الظروف المواتية للجميع في الحياة بحيث يمكن أن يتحقق كمال الأفراد روحيا وأخلاقيا لأن الكمال هو غاية الحضارة.

*** صامويل هنتنجتون :**

يقدم مفهوما مغايرا قليلا للمفاهيم السابقة وذلك لأنه يربط الحضارة بالثقافة ، إذ يقول (إنها أعلى تجمع ثقافي للبشر واسع مستوى من الهوية الثقافية يكاد يكون شعب ما قد وصل إليها ، التي تميز بني البشر عن الأنواع الأخرى)[2] كما يقول في نص آخر (الحضارة والثقافة كلاهما يشير إلى مجمل أسلوب الحياة لدى شعب ما ، والحضارة هي الثقافة على نطاق أوسع وكلاهما يضم المعايير والقيم والمؤسسات وطرائق التفكير التي علقت عليها أجيال متعاقبة أهمية أساسية في مجتمع ما)[3]. إذن يبدو من خلال هذا النص أن الحضارة هي ذلك المفهوم الذي يشمل الثقافة، أي أنه وضع الحضارة موضع الكل والثقافة جزء منها.

*** توماس باترسون :**

لقد استوقفني تعريف هذا المفكر للحضارة خاصة وأنه نظر إليها نظرة مخالفة لما تم تقديمه عند المفكرين الغرب ، فالحضارة عند باترسون (كل أكبر من مجموع أجزائه التراتبية تضم طبقات ، ومجتمعات ، وثقافات متمايزة ، ومرتبطة ببعضها وتنظمها مؤسسات ، وممارسات هياكل الدولة والطبقات)[4].

كما يرى باترسون أن فكرة الحضارة هي عبارة عن رؤية طبقية فرضت فيها الطبقة الحاكمة منطقها فربط مفهوم الحضارة بهذه الطبقة ودونها من الطبقات لا يمكن أن تحضى بهذه التسمية ، ويذكر أن ذلك كان في بداية القرن السادس عشر [5] ، وعليه مادامت الحضارة تاريخيا ارتبطت بالطبقية ، فإن فكرة الصراع الطبقي استمدت قوتها ومرجعيتها مما كان سائدا ، وخير مثال على ذلك الغرب اليوم الذي ارتبط اسمه دائما بفكرة

(1) البرت شفيتزر: فلسفة الحضارة ، نقلا عن علي عبود المحمداوي ، خطاب الهويات الحضارية ، مرجع سابق ، ص 20.

(2) صامويل هنتنجتون : صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي ، تر مالك عبيد أبوشهيوة ومحمود محمد خلف ، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا ، ط1، ص 106.

(3) صامويل هنتنجتون:صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي،تر طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة، ، ط2، 1999 ، ص 25

(4) توماس باترسون: الحضارة الغربية الفكرة والتاريخ ، نقلا عن علي عبود المحمداوي ، مرجع سابق ، ص 24.

(5) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

التحضر ، سواء بين أوساط المجتمعات الغربية وحتى في عالمنا الإسلامي ، الذي ما فتئ يذكر الحضارة حتى يربطها بالغرب.

ثالثا : المفهوم التداولي للحضارة :

أفرزت الدراسات الحديثة في مجال اللغة واللسانيات عن معنى جديد يتحكم في الدلالة اللغوية ألا وهو المعنى التداولي أي تعريف المصطلحات بناءا على ما هو متداول في الحاضر لا ما ارتبط بالماضي . لذلك فالحضارة (هي مفهوم آني تداولي يعبر عن لحظة تداولية ما ومن ثمة فهو مفهوم مفتوح على التطورات والاحتمالات)[1]وكخلاصة لما ورد سابقا يمكن القول (أن الحضارة هي أوسع مستويات الهوية الدينية والثقافية والجغرافية والاجتماعية ، وهي بذلك تعبير عن الهوية الأوسع ، والتمثيل الأكبر بالمشتركات الأكثر والمشكلات الأصغر)[2] أي أن الحضارة هي توليف معقد يتكون من الدين و المعتقد و الإيديولوجيات والثقافة ، و المعارف والعلوم والفنون الخاصة لشعب من الشعوب مضاف إليها عامل المكان والإنسان الممثل للمجتمع .

من خلال ما تقدم من ضبط لمفهوم الحضارة نلاحظ أنها استخدمت مرة بمعنى المدنية civilization كما ورد عند لالاند ،ومرة أخرى بمعنى الثقافة culture كما هو الحال مع هنتنجتون ،لذلك نجد أنفسنا أمام هذا التشابك المفاهيمي الذي يحتاج إلى توضيح ، وعليه سنعمد لضبط مفهوم كل من الثقافة والمدنية من وجهة نظر زكي الميلاد لفك الغموض..

رابعا : علاقة الحضارة بالثقافة والمدنية :

أ–الثقافة:

لقد كان لزكي الميلاد حديث مطول حول الثقافة التي يرى أنها مجرد معنى لغوي لم يرقى إلى المستوى المفاهيمي في العالم العربي ، وأن كل من استعمل الكلمة كان مفهومها لغويا ومنهم ابن خلدون ومالك بن نبي[3] أما الاجتهاد الحديث فهو مجرد تقليد للأفكار الغربية يقول الميلاد (إننا مازلنا في مرحلة القوة وليس

(1) ادريس هاني: تعدد الثقافات وآفاق الحوار الحضاري، نقلا عن علي عبود المحمداوي، خطاب الهويات الحضارية، ص 30.

(2) المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

(3) زكي الميلاد : المسألة الثقافية ، من اجل بناء نظرية في الثقافة ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، ط2، 2010 ، ص ص 25/24

مرحلة الفعل بالنسبة لمفهوم الثقافة في اللغة العربية والمنظومة الإسلامية ، ونحتاج إلى الحركة التي تقوم بعملية نقل المفهوم من مرحلة القوة إلى مرحلة الفعل)[1] لذلك فالثقافة كمفهوم مازالت لغاية اليوم محل نقاش على الرغم من التأثير الغربي على الفكر العربي . وهو ما يجعل زكي الميلاد يلجأ إلى المعاجم العربية ، والنص القرآني لاستجلاء هذا المفهوم ، فقوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[البقرة، الآية 31]أي أن أول كلام ظهر إلى الوجود هو الكلام الرباني الذي يشير إلى علاقة الإنسان بالعلم ، وكل ما يتعلق بهذا العلم من معرفة وثقافة[2]أما المقصود بالأسماء كلها (أن الله الذي علم آدم هو مصدر العلم والمعرفة والإدراك وبالتالي لا ينبغي أن ينفصل العلم عن مصدره ، ويوجه ويسخر فيما يخالف هذا المصدر وأن العلماء هم الذين يخشون الله كما يعني ضرورة تلاؤم العلم مع الإيمان بالله)[3] وهذا جعلنا نستنتج العلاقة القائمة بين الثقافة والأيمان بالله على اعتبار أن الأسماء كلها هي القوة العاقلة في الإنسان وهي مركز العلم والإدراك والثقافة ، ومن جهة أخرى فإن الأسماء كلها تحمل في طياتها الثقافة لذلك يقول الميلاد (ولو لم تكن الثقافة جزء من هذه الأسماء لما كان في مقدور الإنسان التعرف عليها والتخلق بها ، فالثقافة تعطي معنى إنسانية الإنسان)[4] ويسترسل الميلاد في عرض الآيات التي تحيل إلى مفهوم الثقافة إلى أن يقف على قوله تعالى﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق الآية 1]. يرى الميلاد أنه إذا سلمنا بأن الثقافة بمعنى إصلاح الذهن وتنمية الملكات الفطرية وتهذيب القدرات الفكرية ، فإن هذا المعنى وثيق الصلة بإقرأ .

من هنا تتبين أهمية وقيمة العودة إلى النص القرآني في مجال دراسات وأبحاث العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة ، للكشف عن أهمية وقيمة ما لدينا من مفاهيم وتصورات لها علاقة بفكرة ونظرية الثقافة[5].

عموما يمكننا القول أن الثقافة عند زكي الميلاد هي (قوة وطاقة وتخلقا وروحا لا بد من التخلق بها والاستناد إليها في مواجهة أكبر وأعظم مشكلة مستعصية في الأمة وهي مشكلة التخلف بكافة صورها

(1) زكي الميلاد :المصدر السابق ، ص 48.
(2) المصدر نفسه، ص 153.
(3) المصدر نفسه ، ص 155.
(4) المصدر نفسه ،ص 156.
(5) المصدر نفسه ، ص ص 159/157.

وأنماطها وسعيا نحو التمدن والتحضر بعيدا عن التبعية والاستلاب)[1].

إن مفهوم الثقافة والحضارة عند زكي الميلاد تعتبر من حقائق التاريخ وأسراره ، بمعنى أن الثقافة لازمت الإنسان منذ وجوده على هذا الكوكب ، وكل ثقافة بطبيعتها تتطلع إلى الحضارة وذلك يمكن من خلال منظورين :

الأول :ما ذهب إليه المفكر الألماني اشبنجلر في كتابه تدهور الغرب والذي يرى فيه أن الغرب أنجز مرحلة الثقافة ودخل مرحلة الحضارة ، وبذلك فقد دخل مرحلة التدهور والانحطاط.

الثاني: ما ذهب إليه الميلاد ذاته عندما اعتبر أن الحضارة الإسلامية فقدت الحضارة ولم تفقد الثقافة ، فالثقافة وجودها يرتبط بالقرآن الكريم، وفي ظل بقاء الثقافة فإن العالم الإسلامي سوف يظل يتطلع دوما إلى الحضارة[2].

خلاصة القول أن الثقافة هي التي تصنع الحضارة ، فلا وجود لحضارة دون الثقافة ، ولعل هذا ما استنتجه الميلاد من خلال اطلاعه على نظرية المفكر البوسني علي عزت بيجوفيتش المتصفة بصفة النزعة الإنسانية والأخلاقية الأصيلة والعميقة التي ظهرت في كتابيه "الإعلان الإسلامي" الصادر سنة 1981م وهو خطاب للمسلمين والعالم الإسلامي ، والكتاب الثاني بعنوان "الإسلام بين الشرق والغرب" وهو خطاب إلى الآخر وثقافته[3].

ويعتبر بيجوفيتش على حد قراءة الميلاد أن الثقافة أسمى من الحضارة ، هذه الأخيرة التي وجه لها نقده وذلك لأنه ربط الثقافة بعالم السماء والمثل العليا في حين ربط الحضارة بعالم الأرض وبالطبيعة والعناصر المادية[4]فالاختلاف هنا بين الحضارة والثقافة واضح ، خاصة وأن الثقافة تصطبغ بصبغة عالمية أضفاها عليها

---

(1) زكي الميلاد: المسألة الثقافية ، نقلا عن شبلي هجيرة ، اشكالية مستقبل العلاقة بين الحضارات زكي الميلاد نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة، قسم العلوم الإنسانية، شعبة الفلسفة، 2013/2012،ص 36

(2) زكي الميلاد : الإسلام والمدنية حوارات حول الفكر الإسلامي وقضاياه ومشاكله وإشكالياته، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1 2007، ص 199.

(3) ناجم مولاي: الدراسات الفلسفية ودورها في بناء التحالف الحضاري قراءة في أطروحات زكي الميلاد، مدونات إيلاف، https..//elaphblogs.com، 2022/05/18.

(4) الموقع نفسه

الإسلام ، فجعلها تتحرر من كافة أشكال العصبيات ، كما أشترط التعامل مع الناس على قاعدة الكرامة وذلك مصداقا لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[الإسراء ، الآية 70] .

أما الإضافة التي قدمها الميلاد فهي محاولته بناء نظرية في الثقافة ، استعان فيها بأعمال مالك بن نبي[1].

ب–المدنية :

ورد في المعجم الوسيط مدن فلان بمدن : أتى المدينة ، وتمدن عاش عيشة أهل المدن وأخذ بأسباب الحضارة ، وتمدين : عاش عيشة أهل المدن وتنعم ... والمدنية : الحضارة واتساع العمران [2] .

انطلاقا من هذا المفهوم اللغوي نلاحظ أن هناك تشابك بين المدنية وبين مفهوم الحضارة ، وهو ما أشرنا له سابقا عند حديثنا عن الحضارة ، المفهوم الذي ربطه البعض بالمدنية ، وكضرورة يفرضها علينا البحث يجب تقصي المفهوم عند زكي الميلاد الذي أشار في أكثر من موضع إلى تاريخ مفهوم المدنية عند العرب ما قبل مالك بن نبي وما بعده . إذ شهد القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين انتشار ما يعرف بفكر الإصلاح والنهضة انطلاقا من الشيخ الأزهري رافع رفاعة الطهطاوي ، ومرورا بالشيخ محمد عبده ، وصولا عند الشيخ اللبناني مصطفى الغلاييني . وقد ربط مفكروا النهضة المدنية بالدين الإسلامي ، وتعتبر المدنية الفكرة الأكثر حضورا وتداولا في التعبير عن حالة النهوض والتقدم وصفا وتفسيرا وتحليلا وتطلعا [3].

لكن فكرة المدنية لم يعد لها حضور في أعمال مالك بن نبي إذ أصبح اهتمامه منصبا على الحضارة ومشكلاتها يقول زكي الميلاد (ولعل الإنشاء الوحيد في هذا الشأن، هو ما يمثله مالك بن نبي الذي اعتنى بفكرة الحضارة وأعاد لها الاهتمام ، وقدم عنها أجود تحليل في مجال الفكر الإسلامي المعاصر .ومع مالك .ابن نبي تحول الاهتمام الجاد من فكرة المدنية إلى فكرة الحضارة ، وهذا من التغيرات المهمة التي حصلت في المجال الفكري الإسلامي)[4] .

---

(1) ناجم مولاي : الموقع السابق.

(2) مجموعة من المؤلفين : المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ج2،ط2،ص 859.

(3) زكي الميلاد: من فكرة المدنية إلى فكرة الحضارة ، مركز الإشعاع الإسلامي ، http://www.islam4u.com

(4) زكي الميلاد : الإسلام والمدنية تقدم وتراجع فكرة المدنية في مرحلتي الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، ص111 .2022/05/10 ، http://thaqafatuna . com.

وهذا التغير إنما يدل على أن مفهوم المدنية شهد تراجعا كبيرا خاصة على المستوى السياسي ، إذ تخلصت الدولة الحديثة من كل ما يربط فكرة المدنية بالتراث الإسلامي ، وتوجهت إلى ما حققه الغرب من نهوض وتطور ، فأصبحت الأمة الإسلامية مجرد مقلد لمدنية الغرب وذلك بغية تحقيقها ما حققته الدول الغربية من تطور . هذا التوجه الجديد يرفضه الميلاد معتبرا أن العالم الإسلامي فعلا يتطلع إلى بناء المدنية ، في مقابل الغرب الذي استطاع أن ينجز مدنيته ويحقق تقدمه وحضارته ، فنحن مجتمعات تريد أن تتمدن ، بل وتريد استعادة مدنيتها المفقودة أو فردوسها الغائب ، وأمامنا عالم يمتلك هذه المدنية ، لذلك فنحن في حاجة لهذه المدنية ، لكن دون استلاب لهويتنا ، إننا نريد تقدما وحضارة لا تفصلنا عن ديننا وأخلاقنا [1] .

(1) زكي الميلاد: الإسلام والمدنية حوارات حول الفكر الإسلامي وقضاياه ومشاكله وإشكالياته، ،مصدر سابق ،ص ص 172/171.

المبحث الثاني: مفهوم التعارف ، التواصل ، المشروع الثقافي والمسألة الحضارية

أولا: المفهوم اللغوي للتعارف :

بعدما تعرضنا إلى ضبط مفهوم الحضارة وتوضيح التداخلات بينها وبين الثقافة والمدنية سنعمد لضبط مفهوم التعارف وذلك لأنه المفهوم الثاني الأكثر أهمية في هذا البحث خاصة وأن النظرية المراد دراستها تقوم بشكل أساسي عليه ، ضف إلى ذلك سنقدم مفهوم التواصل لوجود بعض التقارب بينه وبين التعارف ،ثم سيأتي دور المفاهيم التي اعتمدها الميلاد في أبحاثه كالمشروع الثقافي والمسألة الحضارية.

في اللغة عَرَفَ مَعْرِفَةً وعِرْفَانًا أي أدركه بحاسة من حواسه فهو عَارِفٌ وعَرِيفٌ وهو عَروفٌ ، المَعْرِفَةُ والعِرْفانُ إدراك الشيء بتفكير وتدبر لأثره وهو أخص من العلم ويضاده الإنكار ، تَعارَفَ وتَعارَفُوا أي عَرَفَ أحدهما الآخر أو بعضهم بعضا[1] .

يبدو أن المفهوم اللغوي للتعارف يؤكد على أنه يشترط علاقة التفاعل بين الأنا والآخر ، هذه العلاقة تكون مبنية على أساس التفكير حتى تكون أكثر انضباطا.

ثانيا : المفهوم الاصطلاحي للتعارف :

***جميل صليبا :**

(تعرف الاسم ضد تنكر وتعرف الشيء تطلبه حتى عرفه، والتعرف في الاصطلاح هو الفعل الذهني الذي يقوم على إدراج أحد الأشياء في أحد التصورات)[2]

*** حسب مفسري القرآن :**

التعارف في النص القرآني (هو نهج في التفكير والتصرف والتواصل من أجل التعرف ، أو المعرفة المتبادلة بالهويات والمصالح بقصد الوصول للعيش الآمن ، بالداخل وفي العالم وهو يقوم على التفاعل والتبادل بين

(1) مجموعة من المؤلفين : المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ج2،ط2،ص 595.
(2) جميل صليبا: المعجم الفلسفي،مرجع سابق ، ج1،ص 303.

الذات والآخر ، وبين الفئة والفئة من الناس على اختلاف الديانات والأخلاق والأعراف والعادات)[1] والتعارف باعتباره قيمة إنسانية وأخلاقية هو فرع عملي على قيمة وفضيلة وفعل المعروف ، وهو المفهوم والمصطلح القرآني المشهور، وأحد ركني المبدأ الإسلامي الأكبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

إن التعارف حسب هذا المفهوم مرده إلى المعروف الذي يحمل معنى الخير العام وفي التفسير الأقدم للقرآن (المعروف هو الرفق ، وهو الإحسان وهو العضة الحسنة ، وهو القول الخير ، وهو صلة الأرحام وهو التعارف)[3].

*** محمد السماك :**

التعارف هو الجسر الذي يربط بين الجماعات المتنوعة لكن لا تعارف من دون معرفة ، فالتعارف يقوم أساسا على المعرفة ، يفترض بالآخر أن يكون مختلفا لنتعرف عليه ، وأن نكون نحن مختلفين عنه حتى يتعرف إلينا ، بدون هذا الاختلاف ما كانت هناك حاجة للمعرفة لذلك يقول (لقد جاءت الحكمة الإلهية أن يكون الناس رغم وحدة الخلق أمما وشعوبا مختلفة ، فالوحدة الإنسانية تقوم على الاختلاف والتنوع وليس على التماثل والتطابق) [4].إذن يبدو من خلال مفهوم محمد السماك أن التعارف يشترط الاختلاف ،فلا يجوز إطلاق التعارف على من يملك نفس المقومات اللغوية ، العقائدية ، العرقية ...

*** زكي الميلاد :**

(التعارف هو أحد أرقى المفاهيم ، وأكثرها قيمة وفعالية في مجال العلاقات بين الأمم والحضارات وهو يتضمن دعوة لأن تكتشف وتتعرف كل أمة وكل حضارة على الأمم والحضارات الأخرى بلا سيطرة أو هيمنة وبلا إقصاء أو تدمير)[5]، يتضح من خلال مفهوم زكي الميلاد أنه لم يبتعد كثيرا عن المفهوم اللغوي الذي يرد التعارف إلى التعرف دون وجود قيود تتحكم في هذه العملية ، فالتعارف يقتضي الاحترام المتبادل

---

(1) مجموعة من العلماء: التعايش والتعارف في الإسلام مفاهيم ميسرة، منظمة التعاون الإسلامي، جدة، 1441هـ، ص 21.

(2) المرجع نفسه ، ص 21.

(3) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(4) محمد السماك: مفهوم التعارف والاختلاف، الإتحاد ، الخميس يونيو، 2004، تاريخ الزيارة2022/04/09 https//www.alitihad.ae

(5) زكي الميلاد : المسألة الحضارية كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1، 1999، ص 85.

وإلغاء فكرة المركزية كما هو الحال عند الغرب ، يقول الميلاد (إن التعارف هو الذي يحقق وجود الآخر ولا يلغيه ويؤسس العلاقة والشراكة والتواصل معه لا أن يقطعها أو يمنعها أو يقاومها)[1] ، والخلاصة أن مفهوم التعارف يعني التواصل الكوني والانفتاح العالمي على مستوى الأمم والحضارات، ويقوم التعارف على احترام الاختلاف الحضاري لأن الاختلاف سنة الكون ، بل أكثر من ذلك لا بد من إبعاد نزعة التفوق الحضاري والإيمان بالفكرة التي تقول أن لكل حضارة خصائصها ومميزاتها.

وهنا يعرج الدكتور زكي الميلاد في معرض حديثه عن قوة الحضارة الإسلامية قائلا (إن الإسلام منذ ظهوره في القرن السابع الميلادي والى اليوم لم ينهزم أمام أي قوة حضارية في العالم ...فالإسلام له إمكاناته الحضارية وتجربته التاريخية وعلى العالم أن ينفتح عليه من أجل أن يستفيد منه في مواجهة أزماته الحضارية)[2] وبالرجوع للحديث عن مفهوم التعارف نقول أنه أصبح من المفاهيم المتداولة خاصة إذا نظرنا إلى الأهداف التي يرمي إليها يقول حسن عزوزي (التعارف بوصفه مبدأ إنساني حضاري سامي له أكبر الدور في منع النزاعات والصراعات فهو يقرب الأفكار والمسافات وينسج أواصر التعاون والتفاهم ، ويهدف إلى بناء أسس حوار حضاري مثمر وبناء)[3] وعلى أساس التعارف بني الميلاد نظرية عرفت بتعارف الحضارات ، تقول الكاتبة السعودية سهام القحطاني (نحن نقف أمام ثلاث نظريات تشبها لمغلقات ، أولها صراع الحضارات...وحوار الحضارات...وتعارف الحضارات التي تبناها المفكر زكي الميلاد...إن تعارف الحضارات هي نظرية إنشائية بمعنى أن القاعدة فيها هي الإنشاء وليس الإخبار فقد جاءت لإنشاء شكل العلاقات المفترض بين الناس كافة حينما انقسموا إلى شعوب وقبائل كما يذهب زكي الميلاد)[4].

من خلال ما قدمناه حول مفهوم التعارف استوقفنا حديث زكي الميلاد عن التواصل لذلك ارتأينا توضيح الفروقات بين المفهومين خاصة وأن نظرية تعارف الحضارات لاقت انتقادا وتخوفا من طرف المفكرين بسبب اقترابها من مفهوم التواصل ، لذلك يتوجب علينا العودة إلى مفهوم التواصل عند يورغن هابرماس.

---

(1) زكي الميلاد : الفكر الإسلامي وقضايا العولمة، مجلة الكلمة، العدد 20، السنة 5، (بيروت، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث 1998)، ص ص 19/18.

(2) زكي الميلاد: المسألة الحضارية،ط1، مصدر سابق، ص 22.

(3) حسن عزوزي: من أجل تكريس مفهوم تعارف الحضارات ،مقال من كتاب تعارف الحضارات، إعداد زكي الميلاد، دار الفكر ، دمشق ط،20061 ، ص 195.

(4) زكي الميلاد: المصدر نفسه، ص 30.

ثالثا : علاقة التعارف بالتواصل :

يرتبط مفهوم التواصل عند هابرماس بفكرة العقل التواصلي التي يقر أنها (تتجاوز العقلانية الغربية التي أعطت أولوية مطلقة للعقل الغائي...فهو عقد يبنى على فعل خلاق يقوم على الاتفاق وبعيدا عن الضغط والتعسف ، وهدفه بلورة إجماع يعبر عن المساواة داخل فضاء عام ينتزع فيه الفرد جانبا من ذاتيته ويدمجها في المجهود الجماعي الذي يقوم بالتفاهم والتواصل العقلي)[1] .

عند النظر في مفهوم العقل التواصلي نجد أنه يمثل حالة افتراضية أكثر مما هي حالة واقعية ، ولما كان العقل يمثل المستقبل بوصفه شكلا من العمل غير المنجز نجد أن لهذه الفكرة لدى هابرماس نتيجتين (الأولى وتتمثل في مفهوم العقل التواصلي الذي يسمح بالإبقاء على مخزون من العقلانية تمثل الحداثة وعده المستقبلي وذلك بإسباغ نوع من الموضوعية عليه ، أما النتيجة الثانية فمن أهم مميزاتها أنها تمهد الطريق لإعادة كتابة النظرية النقدية للمجتمع)[2] ، وبناء على ذلك قسم هابرماس العقل من خلال النشاط الذي يقوم به إلى نوعين الأول : نشاط عقلي معرفي أداتي يرتبط بالغاية وحدوده تقتصر على تعريف الإنسان لمحيطه فحسب أما الثاني فهو نشاط عقلي تواصلي يهدف إلى بناء التفاهم بين الذوات وهو نشاط مفتوح لكل ذات قادرة على المشاركة في الفعل والكلام ، فغاية العقل التواصلي (أن يجنح العقل الكامن فيه إلى التزاوج والتذاوت المؤدي إلى التفاهم وتداخل الحقائق ، فالقول والفعل مرتبطان)[3].

هذا باختصار مفهوم التواصل عند هابرماس وسنحاول مع زكي الميلاد توضيح نقاط التشابه والاختلاف بين التعارف والتواصل.

يذكر الميلاد أن فكرة التعارف والتواصل تشتركان في شكل العلاقة بين الذات والآخر لذلك يقول (فالتواصل مهما قلنا عنه من تفسيرات وتأويلات هو مفهوم ناظر إلى الآخر ، وهكذا الحال مع مفهوم التعارف) [4]، أما عن الاختلاف فيظهر في أن التواصل عند هابرماس معرفي له علاقة بالعقل وينتمي إلى مجال

---

(1) أبو النور حسن، أبو النور حمدي: يورجين هابرماس الأخلاق والتواصل، إشراف احمد عبد الحليم عطية ،المكتبة الفلسفية التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2012، ص 131.

(2) المرجع نفسه: ص 139.

(3) حسن مصدق: النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص 126.

(4) زكي الميلاد : نحن والعالم،من أجل تحديد رؤيتنا إلى العالم،مؤسسة الانتشار العربي ،بيروت- لبنان،ط1 ،1434هـ/2013م ، ص 108.

فلسفي في حين التعارف له علاقة بالناس والمجتمعات وينتمي إلى المجال الإنساني العام ، هذا من جهة ومن جهة ثانية ، فكرة التواصل تتصف بالبساطة ومع ذلك أصبحت نظرية عالمية وهو ما يمكن تحقيقه بالنسبة للتعارف ، يقول الميلاد (أنه بإمكان فكرة تعارف الحضارات أن تتحول إلى نظرية لا تقل أهمية وقيمة ... خصوصا وأنها تستند إلى أصل متين يرجع إلى القرآن الكريم)[1] .

لكن هذه المفارقة لا تنفي وجود علاقة تضمن ، أو علاقة الجزء بالكل ، أي أن التعارف يتضمن التواصل يقول الميلاد (ليس هناك تعارف بدون تواصل ، لكنه يجاوزه بمعنى أن التعارف أوسع وأشمل منه)[2]

خلاصة القول إن عرض مفاهيم كل من الحضارة والتعارف وإزالة الغموض الذي يلف هذه المفاهيم وخاصة في علاقتها ببعض المفاهيم الأخرى كالثقافة والمدنية والتواصل جعل معالم نظرية تعارف الحضارات تتضح مبدئيا.

رابعا : المشروع الثقافي والمسألة الحضارية :

لا يمكن لباحث في فكر زكي الميلاد أن يمر دون أن يستوقفه قاموسه المفاهيمي الذي يعج بالكلمات المميزة والمتفردة ، والتي لها أبعاد ودلالات لا يمكن تجليها إلا بالعودة إلى أمهات كتبه ، فإلى جانب تعارف الحضارات هناك أيضا المشروع الثقافي والمسألة الحضارية ، فنحن عهدنا في إطار فلسفة التاريخ والحضارة الحديث عن المشاريع الحضارية في العالم الإسلامي ، والتي يعود تاريخها إلى حقبة زمنية طغت فيها الصحوة الإسلامية على المجتمع الإسلامي ، ووصلت إلى حد ولوج دواليب الحكم وتسيير الدولة ، فظهرت بذلك جهات تدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في مختلف مناحي الحياة بما فيها السياسية ، أملا منهم في تحقيق التقدم ، والخروج من دائرة الضعف والتخلف ، هنا كانت الانطلاقة الأولى للمشاريع الحضارية على اختلاف مبادئها وتنوع أهدافها ، ولسنا هنا بصدد عرض لهذه المشاريع ، بل لتعقب مشروع المفكر زكي الميلاد ، والذي اختار أن يكون تحت مسمى "المشروع الثقافي" .

(1) زكي الميلاد : المصدر السابق ، ص 112.
(2) المصدر نفسه ، ص 93.

أ – المشروع الثقافي :

بداية يذكر الميلاد أن أي بحث يحتاج التحديد العلمي والمعرفي للمفاهيم بمنهجية التفكيك والبحث والتحليل[1] ، فالمشروع إذن حسب ما يراه الميلاد كلمة مرادفها في القرآن الكريم "المنهاج" ، وذلك مصداقا لقوله تعالى ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة ، الآية 48].

كما توحي الكلمة بالمخطط الذي يفترض فيه الاكتمال ويكون جاهزا للتطبيق بعد تحديد الأسس النظرية وآليات التطبيق المبنية على دراسة الواقع وشروطه ومكوناته ومتطلباته ومقتضياته[2]. كما يذكر الميلاد أن المشروع يفترض الوضوح والواقعية ، أي أنه يلبي متطلبات الواقع ، لذلك يمكن القول أن المفهوم أقرب إلى المجالات العملية التطبيقية . أما المفهوم الثاني فهو نسبة إلى الثقافة التي سبق وأن تحدثنا عنها في المبحث السابق ، وعليه يبدو أن المشروع الثقافي عند الميلاد ، يقوم كأي مشروع له ملامحه ومكوناته واتجاهاته الظاهرة والشاخصة ، وقد تحدد هذا المشروع وتبلور من خلال تزويده بالعديد من المؤلفات والكتابات التي وضحت أهم النقاط التي يقوم عليها والتي يمكن يرصدها فيما يلي :

– التأكيد على قيمة الثقافة والإعلاء من شأنها ، وإعطائها درجة عالية من الأولوية والاستلهام منها والتخلق بها واعتمادها كمنظور في التحليل والنقد والاستشراف ، فالثقافة هي تلك الطاقة والقوة والروح التي تبعث على التجدد والتقدم والنهوض ، مع التركيز على الجوهر الإسلامي للثقافة والاهتمام بأبعاده الإنسانية والأخلاقية والحضارية[3] .

– دراسة تنصب على الفكر الإسلامي ، قضاياه ومسائله ومقولاته ، تطوراته وتحولاته ، مساراته ومسلكياته كما يجب التأكيد على ضرورة التواصل مع العصر ومواكبة التقدم على مستوى العلوم والمعارف والانخراط في حركة العالم والعناية بقضايا التجديد والتحديث والتنوير المنضبط بالقواعد والأصول العامة والذي يتأطر بالمرجعية الإسلامية [4] ، خاصة في ظل الانتشار الرهيب للعولمة وما أفرزته من تطورات تقنية ومعلوماتية.

(1) زكي الميلاد : المسألة الحضارية ،ط 1، مصدر سابق ، ص 92.

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

(3) زكي الميلاد : المشروع الثقافي مكونات ونظريات ، https://wwwalmilad.org ، بتاريخ 2022/05/23 .

(4) زكي الميلاد : الموقع نفسه.

– الاهتمام بقضايا الوحدة الإسلامية والحوار الإسلامي والتقريب بين المذاهب الإسلامية ، والانطلاق من ضرورة اعتبار وحدة الأمة ضرورة مقدسة ، لأن مصيرها ومستقبلها الحضاري يرتبط بوحدتها وتكاملها يقول زكي الميلاد (فالوحدة هي مصير ومستقبل ، والحوار هو فضيلة وتواصل ، والتقريب هو انفتاح وتكامل والعمل على أحياء كل ما هو جامع في الأمة ورفض خطوط الانقسام بكافة صورها وأنماطها)[1].

ب – المسألة الحضارية :

ظهر هذا المفهوم عند الميلاد بشكل واضح في كتابه الموسوم بالمسألة الحضارية وأرتبط أشد الارتباط بنظرية التعارف ، ذلك أن المسألة الحضارية عند زكي الميلاد من المفاهيم التي يصعب تحديدها والوصول إلى ضبطها ضبطا دقيقا حيث يقول (وما نجزم به ابتداء أن الإجابة عن هذا السؤال لن تكون النهائية على الإطلاق وسوف تفتقد إلى قوانين الثبات واليقين ، وليست الغاية الوصول لمثل هذه النهائية ، أو إلى هذه الدرجة من اليقين ، وإنما الغاية الوصول إلى رؤية تكون هي الراجحة والأقرب إلى الصواب ما أمكن)[2] وعليه فالمسألة الحضارية هي الرؤية لمشكلاتنا الحضارية وعلاقتنا بالعالم على ضوء هذه المشكلات والتفكير في سبل النهوض والبناء الحضاري الجديد[3] ، وهي بتعبير آخر ربما يكون أكثر وضوحا أن نفكر على مستوى الحضارة وأن نعيد صياغة أسئلة الحضارة بعد هذه التغيرات التي أصبحت تعصف بالعالم من كل جهاته وأبعاده وأن نفتح ملف حضارتنا بالدراسة والتقييم والمراجعة المستمرة التي تستوجب مراجعة أنفسنا وواقعنا وتجاربنا [4] وذلك لا يتحقق إلا إذا نظرنا في أمهات المشكلات المتعلقة بالأمة ، كمشكل التخلف بكافة صوره وأنماطه وهو على حد اعتبار الميلاد المشكلة الأولى والكبرى في الأمة ، المشكلة التي تتأثر منها وتتعقد وتتضاعف جميع المشكلات الأخرى في مختلف الأبعاد ، لأن التخلف لا يتحدد بمجال ولا ينحصر بمسار ولا يقف عند حد وهو شديد الفاعلية والتأثير والفتك ، وسريع الانتشار والامتداد والتجذر ، وهو الذي يقوي نفسه بنفسه ويحمي نفسه بنفسه ، ويجمع حوله الآفات والأوبئة بكل أصنافها ودرجاتها ، كما يصيب النفس والعقل والروح

---

(1) زكي الميلاد : الموقع السابق.

(2) زكي الميلاد : ما هي المسألة الحضارية ؟ ، مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلامية https://www.islam4u.com بتاريخ: 2022/05/23.

(3) زكي الميلاد : المسألة الحضارية ،ط1، مصدر سابق ، ص 06.

(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

والضمير والعاطفة والفكر ويمتد إلى كافة التكوينات الاجتماعية الصغيرة والكبيرة ، من الفرد إلى الجماعة والمجتمع والأمة[1] ، باتجاه التقدم الذي عرفه زكي الميلاد على أنه (مطلب ملح وإدراك فاعل وقضية حاضرة فهو الرؤية التي تخترق الحجب ، وتتغلب على المعوقات ، وتواجه كل أشكال الاستسلام للعجز والإحباط والفشل)[2] كما يعتبر التقدم ذلك المنهج الذي يرسم الطريق حتى لو كان طويلا وشاقا ، لكن معالمه واضحة ومسالكه بينة ، وهو أيضا نظام يجعل من التقدم بناء راسخا له قواعد وضوابط وتقاليد تكرس الفاعلية والإنجاز كما تعزز أخلاقيات التعاون والتضامن والإتقان [3].

أما عن قوله أن التقدم هو رؤية ، فيعني أنه فكرة ، وتصبح بذلك العلاقة بين المفاهيم التي ربط التقدم بها على أن الرؤية تتطور وتتحول إلى منهج ، والمنهج بدوره يتطور ويتحول إلى نظام ، والنظام يتطور ويتحول إلى بناء [4].

إن من ضرورات التقدم عند الميلاد التأكيد على طلب العلم وحب المعرفة وتطوير مؤسسات التعليم والنهوض بالبحث العلمي وتقدير العلماء ، فكل أمة تطمح إلى هذا التقدم ، فهي بذلك تحتاج إلى رؤية للمسألة الحضارية تكون منسجمة مع متطلباتها الأساسية، وبالشكل الذي ينسجم وطبيعة مشكلات التخلف من جهة ، وضرورة التقدم من جهة أخرى ، كما لا بد من تشخيص مشكلاتها [5] ، ومحاولة وضع الحلول المناسبة لها .

(1) زكي الميلاد : ما هي المسألة الحضارية ؟ ، موقع سابق.
(2) الموقع نفسه.
(3) الموقع نفسه.
(4) الموقع نفسه.
(5) الموقع نفسه.

الفصل الثاني

الفصل الثاني : تعارف الحضارات : الطرح البديل عن الصدام والحوار الحضاري.

- المدخل

المبحث الأول : فكرتي صدام وحوار الحضارات ونقد زكي الميلاد لهما

أولا : فكرة صدام الحضارات

ثانيا : نقد زكي الميلاد لفكرة صدام الحضارات

ثالثا : فكرة حوار الحضارات

رابعا : نقد زكي الميلاد لفكرة حوار الحضارات

المبحث الثاني : تعارف الحضارات من المرتكزات الى العوائق

أولا : مرتكزات نظرية تعارف الحضارات

ثانيا : نموذج تطبيقي لتعارف الحضارات في الحج

ثالثا : عوائق تعارف الحضارات والحلول المقترحة

رابعا : أهمية وأهداف نظرية تعارف الحضارات

المدخل

شهدت العلاقات الإنسانية تطورات اختلفت من حقبة زمنية إلى أخرى ، فقد عاش الإنسان قديما حالة من عدم الاستقرار سيطر فيها القوي على الضعيف فدمره واستنزف قواه في مختلف المجالات وخاصة المادية منها إلى أن حطت الحرب الباردة أوزارها ، معلنة بعد ذلك انتهاء حقبة تاريخية ودخول العالم مرحلة جديدة من التجاذب والتنافر ، لكن هذه المرة على مستوى الحضارات ، وكان للفكر حضورا قويا وموجها لشكل هذه العلاقات الجديدة إما بالبحث على إثارة الصراعات والتصادمات بين الحضارات ، وخاصة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية ، كما فعل صاحب أطروحة صدام الحضارات صامويل هنتنجتون ، أو بتهدئة الأوضاع والدعوة إلى الحوار والتعايش السلمي على طريقة روجيه غارودي . وعلى اعتبار أن العالم الإسلامي ليس ببعيد عن ما خلفته أطروحة صدام الحضارات فإن هذا الوضع قاد المفكرين العرب والمسلمين إلى ضرورة تقديم أطروحات تسعى إلى ضبط العلاقة مع الآخر ، وأهمها أطروحة زكي الميلاد تعارف الحضارات.

أمام هذه الأطروحات المتضاربة يمكننا طرح التساؤلات التالية :

هل أطروحة الصدام الحضاري تعبر فعلا عن شكل العلاقة بين الحضارات ؟ وماذا ترتب عنها من أفكار على مستوى العالم الإسلامي بالتحديد ؟ وهل ما قدمه زكي الميلاد تحت مسمى تعارف الحضارات يمكن عده الطرح البديل عن الصدام والحوار الحضاري ؟ .

المبحث الأول : فكرتي الصدام والحوار الحضاري ونقد زكي الميلاد لهما.

إن الدراسات الحضارية من أهم المجالات التي تستهوي العديد من المفكرين وزكي الميلاد منهم إذ يذكر هذا الأخير أنه كان مولعا بكتب الحضارة منذ صغره ويظهر ذلك في قوله (أول كتاب تعرفت عليه في هذا المجال ...واستوقف انتباهي في ذلك الوقت هو كتاب الحضارة للدكتور حسين مؤنس)[1] ثم استمر البحث بعد تخرجه في قضايا الحضارة وزاد شغفه بها بعد اطلاعه على كتاب "من أجل حوار بين الحضارات لروجيه غارودي" ويذكر أنه (خلال هذه الفترة كنت معجبا بفكرة حوار الحضارات وبالطريقة التي شرحها غارودي في كتابه المذكور وبقيت أرجع إليها تارة بالكتابة عنها أو عن مجالها وموضوعها، وتارة بالحديث عنها دون الاقتراب من التعامل النقدي معها) [2].ظل الباحث مهتما بكل الإصدارات الخاصة بالحضارة إلى أن صدرت مقولة صدام الحضارات سنة 1993 لصاحبها صامويل هنتنجتون ، والتي كانت صدمة على حد تعبير زكي الميلاد لكل مشتغل بهذا المجال ، كما يذكر أنه تابع المقولة وتداعياتها بكل تفصيل وهنا بدأت ملامح الدراسة النقدية التي قدمها لكل من الصدام والحوار الحضاري ، وذلك سعيا منه لإيجاد حل يخرج العالم من مأزق إشكالية الصدام التي وضعها فيه هنتنجتون.

أولا : فكرة صدام الحضارات[*] :

قبل عرض الفكرة ونقدها ، يشير زكي الميلاد إلى أن مقولة الصدام ليست جديدة فقد تطرق لها المفكر المغربي المهدي المنجرة في مقال نشر بالمجلة الألمانية يتحدث فيه عن الحرب الحضارية الأولى ، ثم أصدر كتابا بنفس العنوان ويقصد المنجرة بالحرب الأولى حرب الخليج التي اندلعت سنة 1991[3]، وهي حسب المنجرة حرب لا تزيد عن كونها حلقة في الصراع بين الشمال والجنوب الذي ستطغى عليه مستقبلا اعتبارات حضارية[4] وتعود أسباب هذا الصراع إلى رفض الغرب أن يتفاهم بلغة القيم مما جعله يبرهن أنه ليست لديه روح للمسامحة والتعارف والتفاهم [5].

---

(1) زكي الميلاد: تعارف الحضارات، مصدر سابق، ص 12.

(2) المصدر نفسه ، ص 15.

(3) محمد العربي بن عزوز :زمن هنتنجتون صدام الحضارات ونهاية التاريخ،القاهرة،دار النهضة ، ص 25.

(4) المهدي المنجرة : الحرب الحضارية ألأولى، قصر النيل ، مكتبة الشروق، ط1، ص 14.

(5) المرجع نفسه، ص 54.

(*) الصدام هو حالة متبادلة بين شيئين أو أمرين اجتماعهما ممكن إذ قد يعيق أحدهما انتشار الآخر أو يمنعه أو يدعوه إلى التراجع (قيس نصر راهي: صدام الحضارات دراسة نقدية في جينالوجيا المفهوم ، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ، ط1 ، 2017 ، ص 23)

لكن ما يمكن قوله أن المنجرة حسب زكي الميلاد لم يكن يدعو إلى صدام حضاري بقدر ما هو تنبيه للمجتمع الدولي وخاصة الدول الغربية لإعادة النظر في سياستها الخارجية تجاه الحضارات الأخرى من منظور الحوار لا الصراع، أما عن مرجعية هنتنجتون في صدام الحضارات فتعود إلى المستشرق والمؤرخ برنارد لويس أستاذ تاريخ الشرق الأدنى في جامعة برينستون ، ويذكر الميلاد الفرق بين برنارد لويس و هنتنجتون أن هذا الأخير استطاع تحريك مقولة الصدام داخل المسرح الدولي [1] فانتشرت فكرته مثل انتشار النار في الهشيم خاصة وأنها جاءت في وقت بلغت فيه الصراعات أوجها. فبعد الصراع بين الأمراء والأباطرة والملوك مع بداية الثورة الفرنسية بدأ طور الصراع بين الشعوب ، والذي انتهى بصراع الإيديولوجيات لينتهي مع الحرب الباردة[2] ، فاسحا المجال إلى نوع جديد من الصراعات لكن هذه المرة في شكل صدام بين الحضارات .

أما عن بواعث هذا الصدام ، فيمكن إيجازها حسب هنتنجتون فيما يلي :

– الاختلاف بين الحضارات من ناحية القيم والعادات والعلاقات الاجتماعية ، يقول هنتنجتون (إن التهديدات تأتي من الدول التي تمتلك مجتمعاتها ثقافات مختلفة وبالتالي فإنهم لا يفهمونهم ويشعرون بأنهم لا يمكن أن يكونوا موضع ثقتهم)[3].

– إن تقهقر القوة الغربية ، وبدأ الثورة ضد الغرب جعل المجتمعات غير الغربية تتحرك وتصنع تاريخها الخاص بها بل وتاريخ الغرب كذلك ، مما يجعل النظام الدولي يتسع إلى ما وراء الغرب ، كما يجعله متعدد الحضارات[4] .

– إن التطورات الاقتصادية شرق آسيا هي الأكثر أهمية وخطورة في النصف الثاني من القرن العشرين وهي دائمة الانتشار والتطور ، فالتقديرات تشير إلى أن الاقتصاد الصيني سيصبح الأكبر في العالم مع مطلع القرن الواحد والعشرين، وأن آسيا سيكون فيها تقريبا أربعة من خمسة أكبر اقتصاديات في العالم مما يزعزع استقرار النظام الدولي القائم الذي يهيمن عليه الغرب ويلغي القاعدة التي يعتني بها هنتنجتون وهي التماثل في الثروة والغرب[5].

(1) زكي الميلاد: تعارف الحضارات، مصدر سابق ، ص 47.

(2) المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

(3) صمويل هنتنجتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي ، مرجع سابق، ص 90.

(4) المرجع نفسه ، ص 123.

(5) المرجع نفسه ، ص ص 205/203.

– زيادة معدلات النمو السكاني وبروز فئة الشباب في العالم الإسلامي الذين لا يقل تعليمهم عن المستوى الثانوي ، ونتيجة الركود الاقتصادي في بلدانهم سيلجؤون إلى الهجرة نحو الغرب مما سيخلق مشكل التباين الثقافي[1] .

كل هذه الأسباب ستؤدي إلى الصدام وستكون الثقافة هي الباعث الرئيس ، لأن الشعوب أصبحت تميل إلى التأكيد على ثقافتها وتحديد هويتها ، فباتت تعرف نفسها من خلال النسب العرقي والديني واللغوي والتاريخي لذلك يقول أن مجموعة الدول الأكثر أهمية لم تعد مكونة من ثلاث معسكرات، ولكنها تتكون من سبعة أو ثمانية حضارات : الصينية (الكونفوشيوسية) – اليابانية – الهندية – الإسلامية – الأرثوذكسية – الغربية – أمريكا اللاتينية – الإفريقية.

من خلال ما سبق ذكره حول فكرة الصدام وأسبابه ، وضع هنتنجتون جملة من التوصيات تحضيرا لهذه الحرب الحضارية ، منها ما يخص الغرب ومنها ما يتعلق بالحضارات الأخرى ، لذلك سنوجزها فيما يلي:

* على الغرب أن يدعم التعاون والوحدة بين أمريكا الشمالية وأوربا خاصة ثقافيا [2].

* يجب المحافظة على التفوق الغربي العسكري وذلك من خلال الاعتدال في تخفيض القدرات العسكرية العربية والحد من توسع القوة العسكرية للدول الإسلامية والكونفوشيوسية ، واستغلال الغرب للخلافات الموجودة بينهم وتقوية حلف شمال الأطلسي والحث على عدم قبل غير الغربيين [3] .

* إن الحضارات غير الغربية ستواصل محاولتها للحصول على الثروة والتكنولوجيا والمهارات والأسلحة التي تشكل جزءا من الحداثة ، وستحاول التوفيق بين الحداثة وثقافتها الخاصة ، بحيث تصبح أكثر قوة ومن ثمة يتعين على الغرب المحافظة على القوة العسكرية والاقتصادية الضرورية لحماية مصالحه ، وأن يطور فهما أعمق للحضارات الأخرى ، ثم خلص إلى القول (بالنسبة للمستقبل لن تكون هناك حضارة عالمية بل عالم يضم حضارات مختلفة[4]، ومن هنا تتضح فكرة رفضه لحضارة عالمية واحدة فاستعمال الأدوات الغربية من لباس وموسيقى وشراب الكوكاكولا لا يعني الاندماج الحضاري للحضارات الأخرى في إطار الحضارة الغربية [5].

(1) صمويل هنتنجتون :المرجع السابق ، ص ص 231/227.
(2) المرجع نفسه، ص 513.
(3) المرجع نفسه ، ص 515.
(4) المرجع نفسه ، ص 337.
(5) المرجع نفسه ، ص 10.

ثانيا : نقد زكي الميلاد لفكرة صدام الحضارات :

إن فكرة صدام الحضارات كانت على مرمى من شباك نقد زكي الميلاد الذي لخص نقده في عدة نقاط نذكر منها:

أ – إن نظرية صدام الحضارات حضيت باهتمام واسع وكان لها صدى عميق على مستوى الدراسات الحضارية لذلك يقول الميلاد (يمثل هذا التوفيق امتيازا يحسب لهذه النظرية ويسجل لها بغض النظر عن جانب الاتفاق معها أو الاختلاف)[1]، لكن هذه الأهمية لا تحمل المعنى الإيجابي فقط بل أيضا يمكن النظر إلى جانبها السلبي والذي يظهر في تلك الانتقادات والاعتراضات التي تلقتها.

ب – إن النقد الموجه لهذه النظرية لن يتوقف عند المفكرين فقط بل اتسع إلى مجالات عديدة ودول من مختلف أصقاع الأرض ، لذلك فإن النقد الذي مسها (نقد غير مسبوق في تاريخ الفكر الإنساني القديم والحديث ومتى ما حدث بهذا النمط فبإمكانه أن يقلب صورة النظرية أو يغير وجهتها أو يبدل موقعيتها أو يبعث الشك فيها وقد يطيح بها)[2].

ج – لقد كتب هنتنجتون فكرة صدام الحضارات كما أسلفنا في شكل مقال نشر في إحدى الصحف الأمريكية وبعدها بثلاث سنوات أصبح المقال كتابا أي أنه انتقل من مستوى الافتراضإلى مستوى النظرية في ظرف وجيز جدا متجاهلا التطور التاريخي للفكرة وهذا ما يعيبه عليه زكي الميلاد، حيث يقول (هذا السعي من هنتنجتون إلى الضبط العلمي والإحكام النظري لفكرة صدام الحضارات، كان يتطلب منه تتبع كيف تطورت هذه الفكرة قبله)[3].

د – إن فكرة صدام الحضارات ليست جديدة وإنما هي قائمة منذ القديم ولا يقصد بالصدام هنا ضرورة حدوث حروب باردة أو ساخنة، وإنما المقصود به أن كل حضارة تحاول فرض توسعها وسيطرتها وذلك بالدفاع عن هويتها وتقاليدها، وهو شعور طبيعي لكن ما يعاب على هنتنجتون أنه جعل من هذا الصدام دائم ومستمر يقول الميلاد (أما ما نختلف فيه مع هنتنجتون ونعترض عليه أنه قدم تصورا مغاليا فيه لصدام

(1) زكي الميلاد : الحضارة والسياسة، مطالعة في نظرية صامويل هنتنجتون ،مجلة الكلمة ، العدد 113، صيف 2021م/1341هـ، ص ص 55/54.

(2) المرجع نفسه ، ص 56.

(3)المرجع نفسه ، ص 57.

الحضارات مبشرا ببقاء الصراعات ودوامها ، واشتدادها وارتفاع وتيرتها)[1].

هـ – إن الدراسات الحضارية أفرزت شكلين للعلاقة بين الحضارات ، أحدها الصدام والأخرى الحوار هذه الأخيرة لم يعرها هنتنجتون أي اهتمام عدا بعض الإشارات في آخر كتابه يتحدث فيها عن القواسم المشتركة للحضارة وهي تأكيد على رفضه لحضارة عالمية واحدة ، لكن على الرغم من ذلك نجده كما يقول زكي الميلاد (استبق الإشارة إلى هذا الرأي التفاهمي بالحديث عن سيناريو متخيل لكنه مرعب للغاية يدور حول حدوث حرب بين أمريكا والصين ، وتتطور هذه الحرب وتمتد إلى باقي الحضارات الأخرى)[2]، إن هذا التصور المرعب سيضع العالم على حافة الفناء والدمار .

و – أما عن فكرة هنتنجتون حول الإسلام فقد قدم تصورا سيئا للغاية ومشوها لصورة الإسلام بوصفه دين دموي وكأنه بذلك يريد تحميل الإسلام وزر الصدام بين الحضارات ، لذلك يرى الميلاد أن هنتنجتون كان متغافلا عن الإسهامات التي قدمتها الحضارة الإسلامية والفضل الكبير للإسلام على جميع الحضارات [3].

ثالثا : فكرة حوار الحضارات[*] :

إذا كانت لفكرة الصدام الحضاري أصول تاريخية فإن للحوار أيضا جذور وانتماءات يمكن ردها إليها فهي (تنتمي إلى أنساق معرفية تتحدد في تلك الدراسات التاريخية للحضارات ، والأبحاث الأنثروبولوجية المقارنة للأجناس والسلالات البشرية ، وهي الدراسات التي أكدت على الإسهامات الحضارية لمختلف الثقافات والمجتمعات واعترفت للأجناس والسلالات البشرية المتعددة بالقدرة على المشاركة والبناء في التمدن والحضارة)[4] وقد خاض العديد من المفكرين في مجال البحث عن سبيل لتقريب الحضارات عن طريق الحوار نذكر منهم المفكر الفرنسي روجيه غارودي في كتابه "من أجل حوار بين الحضارات" وعموما يمكن تقسيم فكرة غارودي إلى ثلاث مراحل ، حاول في المرحلة الأولى السابقة لإسلامه الدعوة للحوار بين الماركسيين والمسيحيين ، ثم المرحلة الثانية التي تنبه فيها إلى أن هذا الحوار حوار إقليمي خاص بثقافة واحدة ، لذلك لابد

(1) زكي الميلاد : المرجع السابق ، ص 61.

(2)المرجع نفسه ص 64.

(3) المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

(4) زكي الميلاد: تعارف الحضارات ، مصدر سابق، ص 33.

(*) الحوار هو حالة من التشاور والتفاعل والقدرة على التكيف بين الشعوب المختلفة (حروف عربي موسوعة المحتوى العربي https//horofar.com بتاريخ:2022/06/06).

من توسيع دائرة هذا الحوار إلى مستوى أعلى وهو الحضارات[1]، أما عن المرحلة الثالثة فهي التأكيد على ضرورة الحوار بين الغرب والإسلام ففي نظره (أن العقبة الرئيسية التي تقف في وجه حوار الحضارات هي النظرة التي حملها الغرب منذ مئات السنين عن الإسلام)[2]، والحوار هو السبيل الوحيد للتخلص من هذه النظرة السلبية ، يقول روجيه غارودي (إذا تجردنا من الحكم العرقي المسبق القائم بتمييز الإنسان الأبيض وجدنا منابع الغرب الإغريقية والمسيحية إنما ولدت في آسيا وفي إفريقيا)[3]، هذا التوجه الجديد عند غارودي كان بعد اعتناقه الإسلام واطلاعه على تاريخ الحضارة الإسلامية لذلك فالحوار عنده يقتضي احترام الشروط التالية :

أ – لا يمكن إقامة حوار بناء إلا إذا تخلص كل طرف من الأطراف من عقدة التفوق خاصة عند الغرب الذي يجب عليه التواضع وقبول ومحاولة فهم الثقافات غير الغربية [4].

ب – لا بد على الإنسان الغربي إعادة النظر إلى ذاته وذات الآخر الحضاري من خارج دائرته ، وضرورة الانفتاح على هذا الآخر ، يقول غارودي (إن الحضارات اللاغربية تعلمنا بادئ ذي بدأ أن الفرد ليس مركز كل شيء وأن فضلها الأعظم يرجع إلى أنها تجعلنا نكتشف الآخر وكل الآخر دون فكرة مبيتة تظهر التنافس والسيطرة)[5].

ج – كما يقول في معرض حديثه عن الحوار أن حوار الحضارات يساعدنا على الانفتاح في الصعيد الثقافي على آفاق لا نهاية لها في المنظور الذي توحي به في جميع المجالات أحدثت جديدات الثقافة الغربية [6].

د – لا بد من العيش والتواصل مع مختلف الحضارات لذلك يقول (إن حوار الحضارات حقيقيا ليس بجائز إلا إذا اعتبرت الإنسان الآخر والثقافة الأخرى جزءا من ذاتي يعمر كياني ويكشف لي عما يعوزني)[7] .

(1) زكي الميلاد : المصدر السابق ، ص 39

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

(3) روجيه غارودي: في سبيل حوار الحضارات، تر عادل العوا، بيروت ، دار عويدات ، ص 9.

(4) المرجع نفسه ، ص 107.

(5) المرجع نفسه ، ص 162.

(6) المرجع نفسه، ص 216.

(7) المرجع نفسه، ص 158.

رابعا : نقد زكي الميلاد لفكرة حوار الحضارات :

إن الهدف من حوار الحضارات عند غارودي ضمنه زكي الميلاد في ثلاث نقاط :

* دراسة الحضارات اللاغربية في مجال الدراسات، والتعامل معها بمنزلة تعادل بأهميتها على الأقل أهمية الثقافة الغربية .

* أن يشغل مبحث الجمال منزلة تعادل بأهميتها على الأقل أهمية تعليم العلوم والتقنيات .

* أن تعادل أهمية النظرة الأمامية – فن تخيل المستقبل والتفكير في الغايات والأهداف – أهمية التاريخ على الأقل[1].

من خلال هذه الأهداف ينتقد زكي الميلاد دعوة غارودي للحوار فأعتبره يصب في صالح الحضارة الغربية لأنه كان يرغب في أن يتخلص الغرب من مختلف مشاكله ، يقول الميلاد (هذا هو المأخذ الرئيسي على رؤية غارودي لحوار الحضارات لكونها تستجيب بصورة أساسية لحاجات الغرب ومشكلاته)[2]،وربما هذا ما عبر عنه محمد كمال الدين إمام في مجمل قوله أن الحوار الحضاري هو مجرد دعوة رشيقة للاستسلام للآخر[3].لذلك يمكننا القول أن فكرة الحوار الحضاري ظلت حبرا على ورق ولم تحضي بالقبول خاصة من طرف الغرب على الرغم من محاولته لإنشاء معهد دولي لحوار الحضارات سنة 1976 وسعيه بعد ذلك لإحياء مشروع قرطبة كمركز حضاري جديد في الغرب [4].

وكأن الحوار الذي دعا إليه غارودي مجرد نظرية ترتبط بعالم مثالي مفارق للواقع ، لذلك لاحظنا مؤخرا تراجعا في الدعوة إليها.

وعن معوقات الحوار يتساءل زكي الميلاد عن الكيفية التي يتم بها هذا الحوار في ظل اختلاف تركيبة الحضارات إذ نجد داخل حضارة واحدة قوميات وعرقيات مختلفة سواء على المستوى اللغوي أو الديني يقول زكي الميلاد عن الحوار (هل يتم عن طريق ممثلين ومفوضين عن الحضارات لهم صفة قانونية أو اعتبارية لكنني

(1) زكي الميلاد: تعارف الحضارات، مصدر سابق ، ص 43.

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

(3) زكي الميلاد: تعارف الحضارات ، رؤية جديدة لمستقبل العلاقات بين الحضارات، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1، 2014،ص 369.

(4) المصدر نفسه ، ص 63.

وجدت أنه لم تحصل سابقة بهذا الشكل)[1]، إن التساؤل الذي طرحه الميلاد مشروع وله ما يبرره خاصة وأن المفاهيم السائدة اليوم تتحدث عن الدولة وليس الحضارة وعليه هل سيكون الحوار بين الدول؟ .

أما على مستوى الساحة الدولية فإن فكرة حوار الحضارات لم تحضى بالقبول مقارنة بفكرة الصدام يذكر زكي الميلاد أنه (لن يكون لدعوة حوار الحضارات تلك القدرة الحيوية في التأثير على مجرى السياسات العالمية ، أو خريطة العلاقات الدولية لشدة تعقيداتها وتناقضاتها وتصادماتها وتضارب مصالحها)[2].

وإذا نظرنا إلى الأرضية التي سيبنى عليها هذا الحوار سنجد أنها غير ملائمة تماما إذ مازال الغرب مهووسا بفكرة الأفضلية والسيطرة والتفوق فهو لا يملك النية لهذا الحوار (إن الغرب الذي يفترض فيه أن يكون طرفا أساسيا في أي حوار من هذا المستوى ليس على استعداد – وهو الذي يمثل الحضارة الغالبة والمهيمنة على العالم وثرواته — أن يدخل في حوار متكافئ مع الحضارات الأخرى)[3] ، هذا عن الحضارات بشكل عام أما إذا خصصنا الحديث عن الحضارة الإسلامية فسيزداد الأمر سوءا لأن الغرب متخوف من تقارب العالم الإسلامي مع الحضارات الأخرى كما سبق وأن رأيناه في موقف هنتنجتون .

خلاصة القول يعتبر زكي الميلاد مقولة حوار الحضارات هي المقولة الأصلح من حيث التداول العام أما من حيث الممارسة الواقعية فهي مازالت بعيدة عن المتناول (لكن الوصول إليها وتحويلها إلى واقع وممارسة مازلت تقف دونه مسافات طويلة تمنع من أن يتقدم العالم خطوات كبيرة نحوها)[4].

عموما نستطيع أن نقول أن زكي الميلاد استطاع توضيح الأهداف التي تقوم عليها كلا الأطروحتين وكشف المفارقات بينهما (وتعتبر محاولة الميلاد رائدة في مجال ربط العلاقة بين نظرية هنتنجتون في صدام الحضارات ونظرية غارودي في حوار الحضارات)[5]، ويتجلى ربطه هذا فيما يلي :

أولا : إذا كان غارودي ناظرا إلى الغرب في نظريته حوار الحضارات فإن هنتنجتون هو الآخر كان ناظرا للغرب في نظريته صدام الحضارات ، أما عن الفرق بينهما فغارودي نظر إلى الغرب من الداخل ، في حين نظر هنتنجتون له من الخارج وأراد أن يلفت نظر الغرب إلى التحديات الخارجية.

---

(1) زكي الميلاد: تعارف الحضارات ، مصدر سابق ، ص 52.

(2) المصدرنفسه ، ص 54.

(3) المصدر نفسه، ص 55.

(4) زكي الميلاد: المسألة الحضارية، ط 2 ، مصدر سابق ، ص 144.

(5)ناجم مولاي :الدراسات الفلسفية ودورها في بناء التحالف الحضاري، قراءة في أطروحات زكي الميلاد، مجلة الكلمة، العدد 92، 2016/10/09.

ثانيا : حاول كلاهما العمل على تجاوز الغرب لأزمته الحضارية فركز غارودي في نظريته على الأبعاد الثقافية والأخلاقية والمعنوية ، في حين ركز هنتنجتون على الأبعاد السياسية والتكنولوجية والعسكرية [1].

وإن كان الاختلاف في أبعاد الهدف ،فإن الهدف كما يبدو واحد، وهو كما يذكر زكي الميلاد موجه للحضارة الغربية ، وهو مالا يخدم الحضارة الإسلامية كحضارة فاعلة ومحركة للعالم بأسره.

(1) ناجم مولاي : المرجع السابق.

المبحث الثاني: تعارف الحضارات من المرتكزات إلى العوائق .

بعد التطرق لشكل العلاقات السائدة بين الحضارات التي تراوحت بين الصدام والحوار ، والتي نالت حظها من انتقادات زكي الميلاد ، يذكر نه ظل عاكفا على البحث عن حل آخر يضبط شكل العلاقة بين الحضارات ويكون له مرجعية دينية إسلامية إذ يقول (البحث عن مفهوم آخر هو من مقتضيات التجدد والاجتهاد والفاعلية وعدم الجمود والتوقف)[1] ، كما أن الاتهام الموجه إلى المفكرين العرب بعدم قدرتهم على الإبداع ترك أثره على الباحث زكي الميلاد ، لذلك نجده يؤكد على ضرورة التعامل بثقة مع الأفكار الإبداعية وعدم الانسياق لأفكار الآخر الجاهزة ، من هنا بدأت ملامح فكرة التعارف الحضاري تتجلى عنده حيث يقول (وبقيت متمسكا بضرورة التوصل إلى شيء في هذا الأمر إلى أن اقتربت من الآية الثالثة عشر من سورة الحجرات ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُم شُعُوبًا وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[الحجرات، الآية13] ، وقد توقفت كثيرا عند هذه الآية التي اصطلحت عليها لاحقا بآية التعارف)[2] ، من هنا بدأت رحلة تعارف الحضارات لتثبت في الأخير على شكل نظرية .

أولا: مرتكزات نظرية تعارف الحضارات :

تعارف الحضارات الأطروحة البديلة عن الصدام والحوار الحضاري ، وهو مفهوم يعبر عن رؤية إسلامية مستوحاة من القرآن الكريم ، يقول الميلاد (في صيف 1997 م أنجزت أول عمل حول تعارف الحضارات على صورة بحث نشر في مجلة الكلمة العدد 16 ، شرحت فيه قيمة هذا المفهوم وتميزه واختلافه عن مفهومي صدام الحضارات وحوار الحضارات واتصاله بالمنبع القرآني)[3] ، وظل المفهوم بين قبول وتخوف من طرف المفكرين إلى أن تمت الموافقة عليه وأصبح من المفاهيم المتداولة في المحافل الفكرية ، وعموما يمكننا طرح التساؤل التالي لماذا بالتحديد هذا المفهوم ؟

للإجابة عنه قدم الميلاد عدة نقاط توضيحية تقف وراء اختياره لمفهوم التعارف نذكر منها :

(1) زكي الميلاد: تعارف الحضارات، مصدر سابق ، ص 57.

(2) المصدر نفسه ، ص 19.

(3) زكي الميلاد: فكرة تعارف الحضارات...وكيف تطورت ؟ ، مجلة الفيصل، صفر –ربيع الأول، 1438هـ/نوفمبر- ديسمبر 2016، العددان 481-482، ص 1.

1- الخروج عن الإشكالية الثنائية التي كرست الطابع الجدلي والاحتجاجي بين مقولتي حوار الحضارات وصدام الحضارات ، الإشكالية التي قد تضيق عمليات الفهم وتورث السجال [1].

2 – تجاوز إشكالية الجمود والتوقف أو الاقتصار على تلك المقولتين فحسب إلى نوع من التجدد والكشف من خلال مقولة جديدة ومختلفة .

3 – إن مفهوم تعارف الحضارات أوسع واشمل وأعمق من مفهوم حوار الحضارات ، فهو ينطلق من أرضية تكوين المعرفة والتأسيس عليها ، والتعارف هو الذي يحدد شكل العلاقات وحدودها ومستوياتها وآفاق تطورها

4–إن المشكلة بين الحضارات ليست في عدم الحوار فيما بينها وإنما في عدم التعارف ، والانقطاع عن تكوين هذه المعرفة وسيادة الجهل أو الفهم المنقوص ، أو النمطية و السطحية في المعرفة ، لذلك فإن كل حضارة غالبا ما تصور مشكلاتها مع الحضارات الأخرى على أساس عدم المعرفة السليمة [2].

خلاصة القول لقد وقع اختيار الميلاد على التعارف من خلال رجوعه للآية سابقة الذكر ، والتي تحتاج إلى بحث وتقصي للوقوف على أبعادها ، خاصة وأنها لم تنل حظها من البحث يقول الميلاد (والملاحظ أن حضور هذه الآية والاستشهاد بها أو الالتفات إليها في الأدبيات العربية الإسلامية يكاد ينحصر ويتحدد في نطاق التذكير بها أو مجرد إشارة إليها ، من دون التعمق في استجلاء حقلها الدلالي)[3]، لذلك عمد الأستاذ إلى طريقين يوضح من خلالهما الآية مرة بالتحليل مستعينا بالعديد من التفاسير ، ومرة أخرى بالتركيب مستجليا أهم المرتكزات التي تقوم عليها نظرية التعارف.

وقبل الخوض في القراءة التحليلية للآية استوقفني تساؤل الميلاد عن السبب الذي جعل الآية تستعمل مصطلح التعارف دونا عن باقي المفاهيم الأخرى مثل التحاور أو التعاون يقول الميلاد (فلم تقل الآية فرضا ليتعاونوا أو ليتوحدوا ، أو ليتحاوروا ولا ليتفرقوا أو يتصادموا ، من بين كل هذه المفاهيم يأتي اختيار مفهوم ليتعارفوا لخصوصية جوهرية في هذا المفهوم)[4] ، والإجابة عن هذا التساؤل سنجدها في الطريقة التحليلية للآية التي انطلق منها زكي الميلاد .

(1) زكي الميلاد: نحن والعالم ، مصدر سابق ، ص ص 95/94.
(2) المصدر نفسه ، ص 95.
(3) زكي الميلاد: تعارف الحضارات رؤية جديدة لمستقبل العلاقات بين الحضارات، مصدر سابق ، ص 82.
(4) زكي الميلاد: المسألة الحضارية ، ط 2 ، مصدر سابق، ص 145.

أ – الطريقة التحليلية :

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ** ﴾: من المعروف أن الخطاب في سورة الحجرات وهي من السور المدنية كان موجها للمؤمنين إذ افتتحت بقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا "، واختتمت بقوله تعالى " إنما المؤمنون الذين آمنوا ..." وما تغير خطاب السورة إلا في هذه الآية مع قوله تعالى " يَا أَيُّهَا النَّاسُ" وهذا التغير هو انتقال في الخطاب من الخاص " يا أيها الذين آمنوا "إلى العام " يَا أَيُّهَا النَّاسُ"[1].

وقد جاءت هذه الآية بصيغة النداء الموجه إلى الناس كافة ، وعند التوقف عند كلمة الناس لغة وبلاغة نجد فيها عموم استغراقي لجنس الإنسان بغض النظر عن جميع صفاته العارضة ، وهي كلمة في غاية الدقة كونها لا تقبل التجزئة ولا التقابل ولا الإضافة ولا الحصر النوعي ، فمن جهة التجزئة فإن كلمة الناس لا تتجزأ إلى مفرد وتثنية ، بخلاف الحال مثلا مع كلمة الشعب التي تقبل التجزئة ، فيقال شعب للمفرد وشعبان للتثنية وشعوب للجمع . ومن جهة التقابل ، فكلمة الناس من الكلمات التي لا تقابل لها بخلاف الحال مثلا مع كلمة الجماهير التي تقابلها كلمة النخبة ، ومن جهة الإضافة فهي أيضا لا تقبل الإضافة ، بخلاف الحال مثلا مع كلمة الأمة فيقال : الأمة الإسلامية . ومن جهة الحصر النوعي فلا يمكن لكلمة الناس أن تنصرف إلى جانب الذكورة فقط أو إلى جانب الأنوثة فقط فهي لا تتحدد بنوع معين[2] ، وهذا يعني أن خطاب يا أيها الناس متوجه إلى الناس كافة مستغرقا عموم جنس الإنسان ، ناظرا لهم على تعدد وتنوع أعراقهم وألوانهم لغاتهم وألسنتهم ، دياناتهم ومذاهبهم ، ذكورهم وإناثهم .

لهذا يمكن اعتبار كلمة الناس من المصطلحات القرآنية التي وردت وتكررت في 53 سورة مكية ومدنية.

﴿**إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ**﴾: هذه أول إشارة إلى تعين الخطاب إلى " يا أيها الناس " وقد ناقش المفسرون هذه الجملة من الآية من جهتين ، من جهة أساسية ومن جهة ثانوية ، فمن الجهة الأساسية تمثل محور النقاش في هذا الجزء من الآية ، والذي يتمثل في رأيين :

الأول: خاص ويتصل بسياق التفاخر بالأنساب، وأن المراد بقوله من ذكر وأنثى أي من أب واحد هو آدم وأم واحدة هي حواء .

(1) زكي الميلاد : المصدر السابق ، ص 146.

(2) زكي الميلاد: فكرة تعارف الحضارات ... وكيف تطورت ؟، مرجع سابق ، ص 2.

الثاني : عام ويتصل بسياق نفي مطلق التفاخر والتفاضل الطبقي والعرقي ، اللغوي والقومي وغيره ، وأن المراد بقوله من ذكر وأنثى أي من مطلق الرجل والمرأة ، فكل الناس متساوون في خلقهم من ذكر وأنثى[1]، ووحدة الأصل الإنساني من القضايا التي شغلت فكر العلماء قديما وحديثا (لهذا فإن ما قرره القرآن الكريم ، يمثل شيئا كبيرا بالنسبة إلى علماء الأجناس والأعراق والسلالات البشرية وعلماء الاجتماع والتاريخ والأنثروبولوجيا وهؤلاء هم الأقدر من غيرهم على تقدير حقيقة وحدة الأصل الإنساني بين الناس كافة)[2] .

﴿**وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ**﴾: بعد التأكيد على وحدة الأصل الإنساني جاء الإقرار بمبدأ التنوع الإنساني بمعنى أن وحدة الأصل الإنساني لا تقتضي أن يجتمع الناس كافة ويعيشوا في مجتمع واحد ومكان واحد[3] وقوله شعوبا ، وهي جمع شعب ، الجماعة الكبيرة من الناس الذي يصدق عليه ما هو متعارف عليه اليوم في تقسيم الأمم والمجتمعات إلى شعوب ، وقبائل ، جمع قبيلة وهي أصغر من الشعب[4] ، ويذكر أن هذه الحقيقة اجتماعية وقانون تاريخي ، فالله تعالى بسط الأرض لهذه المساحة الشاسعة لكي يتوزع الناس فيها شعوبا وقبائل ويعيشوا في بيئات وجغرافيات ومناخات ، وقوميات مختلفة لكي يعمروا هذه الأرض ، ويكتشفوا خيراتها ويتبادلوا ثرواتها ، ويجعلوا منها بيتا مشتركا وآمنا . علما أن القرآن الكريم لم يذكر عبارة شعوبا وقبائل إلا في هذه الآية[5] .

﴿ **لتعارفوا**﴾: إن الشعوب والقبائل مهما تعددت وتشعبت على امتداد مساحة الأرض المترامية الأطراف مطالبة بالتعارف فيما بينها ، بحسبان ذلك مبدأ في العلاقات المحلية والدولية الداخلية والخارجية ، كما أن هذا المبدأ يفيد نفي النزاع والصراع والسيطرة والهيمنة بين الشعوب والقبائل [6] ، ولأن التعارف بين الشعوب والقبائل أي بين مجتمعات وجماعات ، وليس بين أفراد فهو يصدق على جميع أشكال الجماعات الصغيرة والكبيرة ومنها الشعوب والمجتمعات والأمم وحتى الحضارات ، لذلك جاز لنا استعماله في مجال الحضارات ، الاستعمال الذي نتوصل منه إلى مفهوم واصطلاح تعارف الحضارات[7].

---

(1) زكي الميلاد: المسألة الحضارية ، ط 2 ، مصدر سابق ، ص ص 148/147 .

(2) زكي الميلاد: فكرة تعارف الحضارات ...وكيف تطورت ؟ ،مرجع سابق، ص 4.

(3)المرجع نفسه ،ص 4.

(4) زكي الميلاد: المسألة الحضارية ،ط 2 ، مصدر سابق ، ص 150 .

(5) زكي الميلاد: تعارف الحضارات ، مصدر سابق ، ص 62.

(6) زكي الميلاد: المسألة الحضارية ، ط 2 ، مصدر سابق ، ص 151 .

(7) زكي الميلاد: فكرة تعارف الحضارات ... وكيف تطورت ؟، مرجع سابق ،ص 5

﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾: إن القرآن الكريم لا ينفي مبدأ التفاضل بين الناس ، وبين الشعوب والقبائل وإنما ينفي القيم التي كان الناس آنذاك يتفاضلون على أساسها ، كقيم القوم والقبيلة والعشيرة والعرق أما التفاضل فيكون على أساس التقوى .

﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾: فرق العلماء بين لفظي الخبير والعليم ، فالخبير يفيد معنى العليم ، ولكن العلم إذا كان للخفايا الباطنة سمي خبرة ، وسمي صاحبه خبيرا ، فالله تعالى عليم حينما خلق الناس من ذكر وأنثى وما خلق لهم في هذه الحياة ، وخبير حينما جعلهم شعوبا وقبائل ، وفي كل ما قدر لهم[1] .

بعد التحليل الذي قدمه الميلاد للآية عمد إلى دراستها تركيبيا مستخلصا المرتكزات التي تقوم عليها نظرية تعارف الحضارات.

ب– الطريقة التركيبية :

تتمثل مرتكزات نظرية التعارف في النقاط التالية :

1 – شمولية الخطاب القرآني : فالقرآن خطاب موجه إلى الناس كافة من غير تفضيل ولا تمييز لأمة عن الأخرى بسبب القومية أو العرق أو اللغة أو اللسان ، كما أن هذا الخطاب لم يأتي للناس في زمن دون الآخر ولا لمكان دون الآخر .

2 – وحدة الأصل الإنساني : فالإنسانية بكل تنوعاتها العرقية والقومية والدينية والمذهبية ، وبكل مستوياتها الاجتماعية العلمية والاقتصادية ، إنما ترجع إلى أصل واحد ، والقرآن الكريم لا يقدم هذا اكتشافا ، وإنما يريد أن تعي الإنسانية هذه الحقيقة وتحكمها كمبدأ في نظرة كل إنسان إلى إنسان آخر ونظرة كل أمة إلى أمة أخرى [2].

3 – الأسرة الإنسانية واحدة مع اختلافها: إن القرآن الكريم يريد للناس أن ينظروا لأنفسهم على أنهم أسرة واحدة على هذه الأرض مهما اختلفت ألوانهم وألسنتهم ، ومهما تباعدت أوطانهم ، إلا أنهم ينبغي أن يتعاملوا فيما بينهم بمنطق الأسرة الواحدة ، وذلك لأن لهم أصل إنساني واحد ، ولا يصح النظر إلى هذا المنطق القرآني على أنه نظرة مثالية ، بل هو من عليم خبير مدرك للخفايا .

(1) زكي الميلاد: المسألة الحضارية ، ط 2 ،مصدر سابق ، ص 151 .
(2) زكي الميلاد: المصدر نفسه، ص 74.

4 – الإنسانية منهجا للتعامل: على العالم أن يتعامل على خلفية الأسرة الإنسانية المشتركة وهذا يعني إزالة كل الأحقاد والعصبيات والعنصرية والكراهية بين الناس .

5 – التنوع والتعدد الإنساني حقيقة موضوعية: يؤكد القرآن الكريم على التنوع ويظهر ذلك من خلال انتشار الناس في الأرض لتعميرها والاستفادة من خيراتها [1] ، بغض النظر عن اختلاف المناطق أو الظروف التي يعيشون فيها .

6 – ركز القرآن الكريم على وحدة الأصل الإنساني ولم بهمل التنوع بين البشر وذلك فيه إشارة لاحترام مبدأ الاختلاف ، ومن بلاغة القرآن الكريم تقديم وحدة الأصل على قاعدة التنوع ، وذلك كي يكون التنوع متفرعا عن الأصل.

7 – إستخدم القرآن الكريم كلمة الخلق حينما قال "إنا خلقناكم من ذكر وأنثى" وكلمة الجعل حينما قال "وجعلناكم شعوبا وقبائل" فما هو الفرق بين الخلق والجعل ؟ .

الخلق يعني الإيجاد ابتداء من العدم ، من غير صورة سابقة أو نسخ أو مثال ، وهذا لا يجري إلا في حق الله جلت قدرته ، ولا توجد آية في القرآن تنسب الخلق لغير الله . أما الجعل فهو التقدير الذي يأتي لتحديد الوظائف والخصوصيات وما يترتب عليه الاقتضاء ، فالله تعالى خلق الذكر والأنثى بالعلم لأنه العليم ، وجعل الناس شعوبا وقبائل أي قدر لهم ذلك لأنه الخبير [2] .

8 – إن القرآن الكريم يؤسس مبدأ التعارف بين الأمم والشعوب والحضارات ، وذلك كله لحكمة وهي أن يعيش جميع الناس المختلفون ليتعارفوا لا ليتصادموا ويتفرقوا .

9 – لا يكفي أن يعرف الناس أنهم من أصل إنساني واحد وإنما يجب أن يطبقوا المبدأ وهو التعارف [3].

10 – من دون أن يكون هناك تعارف لن يحدث الحوار ولا التعاون ، وعليه فالتعارف هو الذي يحدد مستويات الخوار ، كما أن التعارف يقي البشرية من كل أنواع الصراع والصدام لذلك فاختيار مفهوم التعارف أكثر دقة وضبطا وإحكاما من بقية المفاهيم الأخرى .

(1) زكي الميلاد ،المصدر السابق، ص 75.
(2) المصدر نفسه، ص ص 76/75.
(3) المصدر نفسه ، ص 76.

11 – إن القرآن الكريم حينما يتحدث عن التعارف ، فإن هذا المفهوم يستدعي الانفتاح والتواصل والسلام ومد الجسور وعدم الانغلاق .

12–إن مفهوم التعارف يعني أن تتعرف كل أمة وكل حضارة على إمكانات وقدرات وثروات الأمم والحضارات الأخرى ، بالإضافة إلى معرفة الظروف والمشاكل والتحديات ، ومعرفة كل ما يترتب عن هذا التعارف .

13 – إن القرآن الكريم لا يلغي مبدأ التفاضل بين الناس ، فهو واقع كما يلغي مبدأ العدل والمساواة ، أما ما حاول القرآن تغييره هو مقاييس هذا التفاضل ، مثلما كان سائدا في الجاهلية من تفاخر بالأنساب وبالقوم والقبيلة والعشيرة .

14 – إذا التزمت الأمم والشعوب بمبدأ التقوى ترفعت عن كل الأحقاد والعصيان .

15 – شخصية كل أمة في كرامتها ، ومحاولة إهانة هذه الكرامة يعتبر تعديا عن حق من حقوقها ، وربما يكون دافعا لها لدخولها الصراع مع من أهان هذه الكرامة [1].

16 – إن نظرة الإسلام لشكل العلاقات بين الناس لا يكون على أساس المصالح السياسية أو المنافع الاقتصادية ، وإنما على أساس القيم الأخلاقية ، وهي ما يفتقده العالم اليوم .

17 – إن الانهيار الذي يشهده العالم اليوم أسبابه تعود إلى سيطرة النزعة البراغماتية في جميع المجالات ، لذلك وللخروج من هذا الوضع لا بد من البحث عن منظومة قيم روحية أخلاقية .

18 – إن التقوى باعتبارها الإطار الجامع للقيم والآداب والأخلاق تزيل العصبيات بكل أشكالها ، العرقية والقومية والطبقية ، والتي هي من أشد العوائق تأثيرا وسببا في انقسام الأمم والشعوب وتصادمها ، هذا من جهة السلب أما من جهة الإيجاب فإن التقوى تعطي دفعة قوية للتعارف وذلك بتوثيقها والمحافظة عليها وتطويرها وتفعيلها .

19 – إذا كان الله هو العليم الخبير فإن الحكمة تقتضي أن يرضى الناس والشعوب والحضارات بما يختاره لهم الإله [2].

(1) زكي الميلاد: المصدر السابق ، ص 77.

(2) المصدر نفسه ، ص 78.

من خلال ما تم عرضه حول نظرية تعارف الحضارات من توضيح للأصل المعتمد عليه وهو الآية 13 من سورة الحجرات ، واستخلاص المرتكزات التي بنى على أساسها زكي الميلاد نظريته ، يمكننا رسم خارطة عامة لهذه الأطروحة ، مستعينين بالمنهج الذي اعتمده الميلاد ، فقد انطلق من فحص أطروحة الحوار الحضاري لروجيه غارودي فحصا دقيقا موضحا أهم المحطات التي مرت بها ، والتي لخصها كما ذكرنا آنفا في ثلاث مراحل . ليعرض لوجه نظر غارودي حول سبب الصراع القائم بين الغرب والعالم الإسلامي والذي يرده إلى عامل الجهل من طرف العالم الغربي بالإسلام ، ثم يتوجه الميلاد إلى نقد الفكرة ويمكن اعتبارها أول إشارة إلى أن الحل الذي قدمه غارودي كان يصب في صالح الحضارة الغربية مثله مثل طرح هنتنجتون.

ثم ينتقل المفكر زكي الميلاد إلى المرحلة الموالية والتي سماها مرحلة الأصل والمثال ، وفيها يبحث عن أصول لوليده الجديد التعارف بالعودة إلى أصل الأصول القرآن الكريم ، ويبني من خلال الآية – التي أطلق عليها فيما بعد آية التعارف – الركائز الأساسية لنظريته . ثم يصل في الأخير إلى مرحلة القياس والاختبار وهي المحطة التي عرض فيها نظريته على المجمعات الفكرية ليختبر مدى إمكانية قبولها ونجاحها ومساهمتها في حل المشاكل التي تتخبط فيها الحضارات.

وعموما يمكننا استعراض منحنى صيرورة النظرية منذ مرحلة التأسيس إلى مرحلة الانتشار كما رصدها الميلاد[1] .يذكر أنه في صيف سنة 1997م نشر دراسة في مجلة الكلمة بعنوان تعارف الحضارات وكان هذا الإعلان الأول عن هذه الفكرة .

وفي سنة 1999م نشرت الدراسة مجددا في مجلة رسالة التقريب بطهران .

وفي نفس السنة نشر كتابا بعنوان المسألة الحضارية ضمنه الدراسة المذكورة أعلاه .

وفي سنة 2000م جرت مناقشات مهمة حول هذه الفكرة في ندوة عقدت بدمشق بعنوان : كيف ندخل سنة حوار الحضارات ؟ ويذكر الميلاد أن الدكتورة نادية مصطفى هي من أثار النقاش حول التعارف الحضاري .

وفي سنة 2002م قدم ورقة بعنوان: من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات في ندوة دولية عقدت في الرياض[2].

(1) غريبي مراد : لقاء حول تعارف الحضارات في جامعة عبد الحميد بن باديس، مجلة الكلمة ، العدد 78 السنة العشرون شتاء 1434هـ/2013م ، بيروت، ص 197.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ثانيا : نموذج تطبيقي لتعارف الحضارات في الحج :

إن نظرية تعارف الحضارات تقوم على هذه المرتكزات التي استخلصها زكي الميلاد من الآية الكريمة المنطلق منها لذلك يقدم نموذجا تطبيقيا لهذه النظرية ، وهو التعارف في الحج ، ويقصد به تعارف الأمة مع نفسها من أجل النهضة والتقدم [1] ، ينطلق الباحث زكي الميلاد في حديثه عن هذا الأنموذج التعارفي من المقارنة بينه وبين الصوم ، إذ يشترك معه في الزمان لذلك يقول (فهو يشترك مع الصوم في عنصر الزمان فللحج أشهر معلومات لا يجوز فيها التقديم والتأخير ، والصوم له زمان واحد عند كافة المسلمين وهو شهر رمضان ، ولكن ليس له مكان يقصده الناس للصوم كالحج)[2] ، لكن الفرق بين الحج وباقي العبادات الواجبة يكون في المكان الذي يقصده المسلمون قاطبة لأداء مناسك الحج في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة وهذا المكان حسب تعبير زكي الميلاد يجسد أكبر تجمع إنساني يحمل صورة الأمة الواحدة ، بمختلف تنوعاتها وتعدداتها . ويستشهد على ذلك بقوله تعالى ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾[الأنبياء الآية 92] .

كما يقول أن البشرية جمعاء تأتي لهذا المكان لتلبية نداء الحج كما ورد في الآية الكريمة ﴿**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾[الحج ، الآية 27]. وفعلا تجسد النداء الرباني على أرض الواقع وبالتحديد في مكة المكرمة .

إن هذا التجمع الإنساني خص الله به المسلمين دون غيرهم من الأمم ، وهو فرصة لتعارفهم وتحصيلهم المنافع الدنيوية والأخروية ، فالأولى ما يصيبون به من لحوم الذبائح وأنواع التجارات ، وما يكون في ذلك الاجتماع العظيم من التعارف [3] ، ثم إن التعارف هو ذلك المفهوم الذي يؤسس للعلاقة مع الآخر ، فلا يكون به إقصاء ولا مركزية ، ولا صدام ، وهو يرسخ مفهوم الأمة الواحدة لذلك فالحج على حد قول الميلاد (هو أكبر وأوسع فضاء لتعارف الأمة مع ذاتها بين مللها ونحلها ، وكل تعديداتها وتنوعاتها ، وهذا التعارف هو الذي يرسخ مفهوم الأمة الواحدة العالمة بشؤونها وقضاياها ، العارفة بزمنها وعصرها)[4] ، أما عن الأمة الجاهلة بذاتها والغارقة في العزلة ، فإنها ستكون أمة منقسمة لا روابط بينها ، والحل في هذه الحالة وللخروج من

(1) زكي الميلاد : التعارف في الحج ...تعارف الأمة مع نفسها من أجل النهضة والتقدم ، مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلامية https://www.islam4u.com

(2) الموقع نفسه .

(3) الموقع نفسه

(4) الموقع نفسه.

بوتقة العزلة والتخلف لا بد من التعارف ، الذي يكرسه الحج ، وفي نفس المرمى يساهم التعارف في تحقيق مقاصد الحج العامة والكلية [1] ، التي يلخصها الميلاد فيما يلي :

- الحج مظهر من مظاهر القوة والعزة ، يجسدها المسلمون بهذا الاجتماع البشري العددي الكبير ، لكن هذه القوة والعزة لا تأثير لهما ولا فاعلية بدون التعارف ، الذي هو مصدر الإحساس بهذه القوة .
- الحج مظهر من مظاهر الوحدة والتآلف ، لكن بدون التعارف تفقد الوحدة والتآلف تجلياتهما وإشعاعاتهما .
- الحج مظهر من مظاهر العدل والمساواة ، لكن بدون التعارف لا يكون للعدل والمساواة عظمتهما .
- الحج مظهر من السعي والعمل ، لكن بدون التعارف لا يتحول السعي والعمل إلى تربية وسلوك على مستوى الأمة .
- الحج مظهر من مظاهر السلام والتسامح ، والتعارف هو الذي يعزز هذه المظاهر ويرسخها في الأمة لأن الحج هو تربية للأمة بكل أجيالها وشرائحها ، وبكل تنوعاتها وتعدداتها [2].

أما من جهة تأثير الحج على التعارف ، فإن الحج يضفي على التعارف أجواء العبادة والقداسة والتسامح ، لذلك فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج كما نص على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[البقرة ، الآية 197].

أي أن التعارف في الحج يتصف بالصفاء والصدق والتسامح ، وهي الصفات المعنوية والأخلاقية التي تكسب التعارف حالة من الشفافية والقيمية وتجعله متجذرا في النفوس ، وراسخا في الأذهان [3]، وإذا كان مطلب التعارف غايته التسامح ، فإن الحج يتصف بهذه الصفة .وينتهي المفكر إلى التأكيد على أن الحج هو توحيد ووحدة ، أي توحيد لله سبحانه وتعالى من جهة ووحدة للأمة الإسلامية من جهة ثانية ، وعلى قاعدة توحيد الله تتوحد الأمة ، وتوحيد الله في الأمة يفترض أن يتجلى في وحدتها التي لا تتحقق بدون التعارف والحج هو أكبر وأعظم فضاء لتعارف الأمة مع نفسها من أجل نهضتها وتقدمها [4].

(1)زكي الميلاد: الموقع السابق.

(2) الموقع نفسه .

(3) الموقع نفسه.

(4) الموقع نفسه.

جعل زكي الميلاد من الحج فضاء لتجسيد التعارف لما تتصف به هذه الشعيرة السمحة ، فالحج قبلة كل المسلمين باختلاف أطيافهم ، عاداتهم وتقاليدهم ، لغاتهم وحضاراتهم ، بل وأصولهم وهو نداء رباني يجمع كل من يكون على عقيدة إبراهيم عليه السلام وعلى سنة محمد صلى الله عليه وسلم .

ثالثا :عوائق تعارف الحضارات والحلول المقترحة :

إن المتتبع لتاريخ الأفكار والنظريات يجد أن لكل فكرة أو نظرية أو مشروع معوقات تحول في أغلب الأحيان دون تحقيقه خاصة إذا تعلق الأمر بالمشاريع الحضارية المناهضة للأفكار الاستعمارية ، وخير مثال المشروع النهضوي لمالك بن نبي ، وكذا الحوار الحضاري لروجيه غارودي والقائمة طويلة ، ومنها أيضا تعارف الحضارات لزكي الميلاد ، إذ يعترف هذا الأخير بوجود عوائق تقف في وجه فكرته يردها إلى سبب رئيس وهو عدم القابلية للتعارف ، سواء تعلق الأمر بنا نحن كمسلمين بمختلف طوائفنا أو بالآخر الذي يخالفنا المعتقد واللغة والحضارة بشكل عام . والرفض هنا من كلا الطرفين ، فلا الآخر يملك القابلية للتعارف ولا نحن لنا الاستعداد لتجاوز الانغلاق الذي نعيشه.

أ – العوائق :

إذا كان عائق عدم القابلية على التعارف هو العائق الرئيس الذي يقف في وجه هذه الأطروحة ، فإن ذلك له أسبابه على الأقل فيما يخص الحضارة الإسلامية ، إذ صرح الميلاد في مقال له بعنوان " مشكلتنا أننا نتصادم مع أنفسنا " أن المشكل الذي يعترضنا نحن كمسلمين التصادم الموجود بيننا يقول في مطلع حديثه (لعل أصدق وصف يصدق على أحوالنا وأوضاعنا العربية والإسلامية ، ويشكل مدخلا أساسيا لفهم مشكلتنا في التقدم والتحضر هو أننا كأفراد وجماعات ومجتمعات ، مشكلتنا أننا نتصادم مع أنفسنا بطريقة كما لو أننا في ساحة معركة)[1]، فكل واحد منا يرى غيره خصما له ، وما ينطبق علينا كأفراد ينطبق على مجتمعاتنا وعلى أمتنا ، فكل مجتمع ضد للآخر ، وكأنه هو من يمتلك الحقيقة والحق في الحياة أما الآخر فلا بد من زواله ، في حين المنطق يقول أن التقدم يشترط ارتفاع مؤثرات البناء بدرجة تفوق فيها مؤشرات الهدم [2] ، وعند حدوث هذا التصادم فإن كل إنسان فردا كان أو جماعة أو أمة لايريد أن يرى في الآخر تقدما ونجاحا وتفوقا ، اعتقادا منه أن تفوق غيره سيكون حطا من قيمته هو وضربا لتطوره ونجاحه .ومجتمعاتنا هي بيئة خصبة لتقبل مثل

(1) زكي الميلاد: مشكلتنا أننا نتصادم مع أنفسنا، مركز الإشعاع الإسلامي، موقع سابق.

(2) الموقع نفسه.

هذه النزاعات والتصادمات ، يقول الميلاد أن هذا الوضع سيؤدي حتما إلى التشتت والانهيار ، ويحدث هذا أكثر في المجتمعات الأكثر انغلاقا ، فهم لا يرون العالم إلا من زاوية ضيقة . وتعتبر هذه الحالة من وجهة نظر الميلاد من أخطر العوائق التي تقف في وجه التطور والذي بدوره لا يكون إلا بالانفتاح والتعارف يقول (فتختل عندئذ الأولويات وتنقلب الخيارات ، وهل هناك ماهو أخطر في أن يرى المجتمع نفسه في صدام مع نفسه بإدراك منه أو بدون إدراك)[1].

هذا ما يتعلق بالعوائق الداخلية الموجودة في قلب الأمة الإسلامية ، أما على المستوى الأكاديمي فيذكر الميلاد أن الصعوبة التي تعترض النظرية تكمن في الاعتراف بمثل هذه النظريات خاصة في ظل واقع دراسات حضارية ضعيفة يقول (إن الصعوبة المعرفية التي تواجهنا هي القدرة على اكتساب الثقة العلمية لمثل هذه المقولات والمفاهيم ، والقدرة على بناء القاعدة المعرفية المتماسكة لهذه المفاهيم ، خصوصا وأن المجال العربي في علم الحضارة وتاريخ الحضارات لم يشهد ازدهارا أو تقدما)[2] ، وعليه فالمفاهيم ذات المصدر العربي تواجه تحديات صعبة في انتزاع الاعتراف العلمي سواء تعلق الأمر بالعالم العربي أو خارج حدوده .

هذا فيما يتعلق بما ذكره زكي الميلاد حول عوائق التعارف الحضاري التي أُضِيف إليها بعض العوائق الأخرى من طرف باحثين مختصين في مجال التعارف الحضاري ، نذكر منها :.

1 – التضليل الذي يمارسه الإعلام الغربي في محاولة نشر تلك الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين[3] ، أي اعتبار الإسلام دين الإرهاب والعنف والانغلاق ،وهو نفس ما ذهب إليه الدكتور محمد مراح عندما اعتبر الإعلام الغربي الموجه والذي تتحكم فيه القوى الاقتصادية خصوصا يقول (غني عن البيان أن هذه القوة البديلة يهيمن عليها أصحاب المصانع والإمبراطوريات المالية والصناعية والتجارية الكبرى ، وأصحاب عقيدة معاداة تآخي الإنسانية)[4].

---

(1) زكي الميلاد : الموقعالسابق.

(2) حسين آل غزوي : مؤتمر تعارف الحضارات الإسكندرية 19/18 مايو 2011م، مجلة الكلمة ، السنة الثامنة عشر خريف 2011م ، العدد 73 ، ص 156

(3) يحي اليحياوي: في القابلية على التعارف على هامش أطروحة تعارف الحضارات ، مجلة الكلمة ، العدد 58، السنة 15، شتاء 2008م/1429هـ.

(4) محمد مراح: نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات ،مقال من كتاب تعارف الحضارات ، مصدر سابق ، ص 107.

2 – يتعرض المسلمون في ديار الغربة أو في بلدانهم لنظرة الاستعلاءوالاحتقار وذلك لعدم امتلاكهم لمقومات الحضارة والتطور العلمي والتكنولوجي [1] ، وهذا ما أطلق عليه محمد مراح تضخيم الذات الحضارية ، والتي تعود أسبابها إلىانتشار فكرة التفاوت بين الحضارات ، مما يجعل الحضارة المتطورة تعاني من فكرة المركزية الحضارية لذلك يقول (حين تتضخم الذات الحضارية لدى أصحابها فيشعرون بالتفوق الباهر والعظمة المفرطة)[2].

3 – لطالما أتهم الإسلام والمسلمين بالإرهاب وذلك لوجود بعض الحالات المتطرفة في العالم الإسلامي ، والتي جعلت الآخر يعمم الحكم على الجميع ، وما هذا إلا جهل بالمسلمين وبالحضارة الإسلامية [3] ، لذلك نجد أن الأفكار التي تدعواإلى الصراع والتي يقف وراءها الحركة الصهيونية همها الوحيد إشعال الصراع بين الإسلام والمسيحية تحت تسمية الإرهاب وضرورة مقاومته ، وعليه يجب على المسلمين الوعي بهذه المؤامرة الدنيئة [4].

4 – يعاني العالم الإسلامي من ضعف في جانب نشر قيمه الإسلامية للعالم وذلك راجع للأساليب التربوية المعتمدة ، والتي تعطي حصة الأسد للمناهج الغربية ، يقول زكي الميلاد (إضافة إلى المناهج الدراسية الخاصة بالإسلام التي لا تمثل سوى 03% من المقرر الدراسي و 97% من المقرر مخصصة لتاريخ أوربا وأمريكا [5].

5 – يضيف محمد مراح العائق العقائدي ، فإذا كان الدين هو جوهر كل حضارة فإنه يظهر في تلك الشعائر والطقوس التي يمارسها الناس والتي تعبر عن اعتزازهم وتمسكهم بعقائدهم ، هذا الشعور يقودهم في الغالب إلى الصراع من أجل المقدس ، لكن الغاية من التعارف هي تخطي هذا الشعور [6].

6 – إن أخطر التحديات التي تعترض التعارف الحضاري هي التحديات الواقعية المتعلقة بالخطاب التعارفي في حد ذاته ، فكما حدث لمشروع السلام الدائم الكانطي في الماضي من تدهورات ، فسحت المجال أمام إعادة إحياء خطاب هوبز (الإنسان ذئب لأخيه الإنسان) فكان ذلك إعلانا عن ظهور أعظم الشرور التي مست

(1) يحي اليحياوي : القابلية على التعارف على هامش أطروحة تعارف الحضارات، مرجع سابق .
(2) محمد مراح: نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات ، مصدر سابق ، ص ص 110/109.
(3) يحي اليحياوي : مرجع سابق .
(4) محمد مراح: مصدر سابق ، ص 111.
(5) يحي اليحياوي : مرجع سابق .
(6) محمد مراح: مصدر سابق ، ص 109.

العالم الإسلامي تحت غطاء السلام (فما تفعله السياسة الشارونية بالفلسطينيين منذ انتفاضتهم مطلع الألفية الجديدة ، إنها ذئبية اليمين اليهودي المتعجرف التي دمرت التطلع إلى السلام بالمنطقة ، بعد أن دمرت مشروعات السلام ذاتها)[1]، وهي نفس الفكرة التي تطبقها أمريكا ضد دول العالم ، إذ تفرض عليها ضرورة الالتزام بالقوانين والشرائع الدولية بينهما لا تلتزم هي بها . كل هذه السياسات تمثل تحديات تقف في وجه نظرية تعارف الحضارات .

ب – الحلول :

قبل عرض الحلول التي قدمها بعض المفكرين للعوائق سابقة الذكر ، نعود مع زكي الميلاد إلى أهم عوائق التعارف ليستخلص الحلول المساعدة ، يرى الميلاد أن العائق الذي يقف في وجه التعارف دائما هو مركزية الخطاب عند حضارة معينة ورفض فكرة التنازل ، وربط العلاقة مع الآخر وهذه المركزية لن تحقق النجاح والاستمرارية .لكن بإمكاننا التصدي لهذا العائق وذلك بتحقيق التواصل معه ومحاولة اكتشافهيقول الميلاد (إننا أمام مهمة كانت تستدعي منا التحول والانتقال إلى إعادة اكتشاف الآخر والتواصل معه ، والتعرف عليه ولإنجاز هذه المهمة يتطلب الالتفاتإلى : أن الخطاب الذي يلغي الآخر ليس باستطاعته أن يبني وحدة وطنيةأو يشكل نسيجا مجتمعيا متماسكا ، ولا أمة متفاعلة ومندمجة في المجتمع الإنساني)[2].

ضف إلى ذلك يجب تجاوز نظرة التقديس والأفضلية للذات ونظرة التحقير للآخر يقول (وعلينا أن نتخلى عن الطريقة التي ننظر بها لأنفسنا فنبالغ في تركيبتها ، وفي الطريقة التي ننظر بها إلى الآخر فنبالغ في تجريحه)[3].

كما لابد من مراجعة وتحليل وكشف أبعاد المفاهيم التي كرست القطيعة والصدام مع الآخر . والتحول والانتقال من حالة الأحادية إلى التعددية التي توفر الفرصة للتواصل مع الآخر[4]

إضافة إلى هذه الحلول قدم البعض اقتراحات يهدفون من خلالها إلتفعيل نظرية تعارف الحضارات ونقلها من مستوى التنظير إلى التطبيق ، وتتمثل هذه الحلول فيما يلي :

(1) رسول محمد رسول: تعارف الحضارات في ضوء متغيرات العالم الجديدة، مقال من كتاب تعارف الحضارات ، المصدر السابق ، ص 189.
(2) زكي الميلاد : الإسلام والإصلاح الثقافي ، مركز آفاق للدراسات والبحوث ، ط2، 2006 ، ص 252.
(3) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.
(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

1– التربية والتعليم مطالبان عالميا بأداء دور كبير في إنشاء أجيال المستقبل متشبعة بروح التعارف والتسامح بين الحضارات ، ولهذا على النخبة المتعارفة والمتحاورة النزول إلى ساحات التربية والتعليم بمختلف مستوياته والاتصال بالمسؤولين عنه وتحسيسهم بضرورة إدراج برامج التعارف الحضاري ضمن المناهج الدراسية .

2– تفعيل المؤسسات الثقافية العالمية والإقليمية للعب دورها في تنشيط وتطوير التعارف بين الحضارات وذلك من خلال برامجها الثقافية ومنشوراتها وهيئاتها .

3– إنشاء منتدى فكري عالمي لتعارف الحضارات مكون من النخب المؤمنة بالتعارف ، والداعية والممارسة لفعالياته ، بعيدا عن تقلبات السياسة وأهوائها ومصالحها الضيقة ، ينضم إليه المؤمنون بالمشروع من عامة الناس وذلك بالإسهام في تمويل مؤتمرات المنتدى ، وإحياء يوم عالمي لتعارف الحضارات .

4– يعقد المنتدى الفكري الدولي لتعارف الحضارات ملتقى دوليا دوريا ينتقل من قارة إلى أخرى تعبيرا عن التنوع الحضاري .

5– إنشاء موقع عبر شبكة الإنترنت يحمل عنوانا يعبر عن التعارف الحضاري بلغات العالم ، يتواصل عبره أبناء الحضارات المختلفة حول القضايا الكبرى التي تشغل بال الإنسان المعاصر.

6– إنشاء جوائز عالمية علمية وفكرية وأدبية وفنية وإعلامية ، لأحسن الأعمال التي تعبر عن تعارف الحضارات .

7–الاستفادة من التجارب السابقة في الميدان ، كتجربة المعهد الدولي لحوار الحضارات الذي أنشأه غارودي صاحب الدعوة الشجاعة لحوار الحضارات [1] .

8– يجب تأسيس مفهوم التعارف الحضاري عمليا من أجل بعث التوازن مقابل الاختلال والتدهور ، وبعث الحوار والتجاور مقابل الندية والتصادم ، وإطلاق حمامات السلام مقابل عودة الذئاب إلى الحاضرة البشرية المعاصرة [2].

---

(1) محمد مراح: نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات ، مصدر سابق ، ص ص 111/110.

(2) رسول محمد رسول: تعارف الحضارات في ضوء متغيرات العالم الجديدة،المصدر نفسه، ص 190.

9– أن نمنح كل الطاقات الممكنة لمدرسي المنظور الحضاري الإسلامي وتأصيل المعارف والعلوم وتوجيه المعرفة وجهة إسلامية أو " أسلمة المعرفة " ، خاصة في مجالات المناهج والنماذج ، وتوجيه العلوم الطبيعية ، وإعادة بناء العلوم الاجتماعية والإنسانية ، وإن تطور هذه العلوم في وحدتها الكونية سوف يشكل حافزا لمعظم الغربيين ، على الانفتاح على منهجنا أو اكتشافه أو الاستفادة منه ، ثم السمو به إلى مستوى اكتشاف القرآن المجيد[1].

10– التسلح بوعي مفاهيمي للقرآن الكريم للوصول إلى النخبة الغربية ، والتحاور معها في إطار منهجي علمي ، نتلافى– ونحن نحاول أن نشق طريقنا إلى العقل الغربي – خطاب الدعوة المثيرة للحساسيات ونتخلص من هيمنة الخطاب الإسلامي الإيديولوجي ونرتقي إلى مستويات صياغة الخطاب الإسلامي المعرفي [2] .

رابعا : أهمية وأهداف تعارف الحضارات :

أ – أهميتها :

بعدما أحصينا كل ما يتعلق بنظرية تعارف الحضارات ، سواء من ناحية المرتكزات أو من جهة العوائق والحلول والمقترحة ، يمكننا أن نعرج على الحديث عن مدى أهمية هذه النظرية والأهداف المرجوة منها .

فكما أشرنا سابقا لموقف الدكتورة القحطاني من نظرية تعارف الحضارات التي اعتبرتها نظرية شاملة ومتكاملة لعدة اعتبارات، لن نعيد تكرارها ، فقط يمكننا القول أنها تتميز بكل خصائص النظرية سواء من ناحية المبادئ ، أو إثبات حقائق ، أو المساهمة في بناء فكر جديد ، فنظرية تعارف الحضارات انطلقت من مرتكزات قرآنية لتصل إلى تأكيد حقيقة أن الناس خلقوا مختلفين لكنهم من أصل واحد ، كما أنها تعد إضافة إلى الفكر الحضاري في العصر المعاصر وهذا ما سنؤكده فيما بعد عندما نضعها في ميزان نقد المحللين . نظرية تعارف الحضارات متكاملة البناء ذلك أنها مست جميع مناحي الحياة الدينية منها ، وذلك بربط الميلاد نظريته بالأصل القرآني ، أما الأساس الثقافي فيتضح في دعوة الميلاد إلى تعارف الثقافات وانفتاحها على بعضها مع الحفاظ على القيم الدينية والهوية الثقافية الخاصة بكل حضارة .

(1) طه جابر العلواني : الإسلام والتعايش السلمي مع الآخر ، خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات ، تر نادية مصطفى – علا أبو زيد ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، ط2 ، 1428هـ/2007م ، ص 254.

(2) المرجع نفسه، ص 254.

إضافة إلى كونها نظرية لم تهمل الحديث عن السياسة ، فنجد الميلاد يدعو دعوة مباشرة إلى ضرورة التعرف على مختلف التنظيمات السياسية لمختلف الحضارات ، ويؤكد من جهة أخرى على توطيد العلاقة السياسية والدبلوماسية بين الدول والعمل على تطويرها[1] .

أما عن الجانب الاقتصادي فقد كان لنظرية تعارف الحضارات إسهام من خلال دعوتها إلى التعرف على التسيير الاقتصادي للدول ، وتبادل المعارف الخاصة بهذا المجال وتقريب المسافة بين مختلف الدول اقتصاديا ، وهي فكرة ليست جديدة إذ مارسها الإنسان قديما وذلك في تبادلاته التجارية بين مختلف الشعوب والأمم بسلوك طريق الحرير.

أما عن رأي الدكتور زياد عبد الكريم النجم فيما يخص نظرية تعارف الحضارات فهو يرى أن لها دورين أساسيين هما :

الدور الأول يتضح في كونها الحل الذي يمكن من خلاله الدخول في علاقة حوار مع الآخر إذ يقول (النظرية حلقة وسيطة بين الوقع الحالي للحضارات وبين الدخول بالحوار الحضاري الفاعل والمثمر بالصورة التي دعا إليها غارودي ، إذ التعارف شرط للحوار)[2] أما عن الدور الثاني فهو يخص النظرية في حد ذاتها التي تشكل منهجا متكاملا ، سواء من حيث المنطلقات ، و الأهداف التي تدور في فلك ربط العلاقة مع الآخر وذلك بالاعتراف به والتعرف عليه وقبول التعايش السلمي معه .

وبناء على هذين الدورين ضبط زياد عبد الكريم النجم جملة من النقاط يوضح من خلالها أهمية نظرية تعارف الحضارات ، نذكر منها :

– إن نظرية تعارف الحضارات نظرية في صلب الحضارة العربية الإسلامية سواء من ناحية الضبط اللغوي أو من جهة المفهوم الاصطلاحي لذلك يقول (الأمة التي لا تبدع لنفسها أفكارها ورؤاها الخاصة بها لن تكتشف ذاتها بأبعادها الثلاثة ، الماضي ، الحاضر ، المستقبل ، ولن تشق طريقها نحو التقدم والإبداع) [3]

---

(1) سمية غريب : زكي الميلاد ونظرية تعارف الحضارات، eljazaireljadida.dz، تاريخ الزيارة 2022/05/10.

(2) زياد عبد الكريم النجم : نظرية تعارف الحضارات نحو مخرج مفاهيمي يبرز خصوصية الحضارة العربية الإسلامية ، الحوار اليوم ، 2011/07/31 . https://www.alhiwartoday.net.note

(3)الموقع نفسه .

– نظرية تعارف الحضارات من النظريات الإصلاحية في الفكر العربي المعاصر ، وذلك لمحاولة صاحبها إرساء معالم علاقة جديدة بين الحضارات ، فهي (مسألة هامة من المسائل الفكرية المعاصرة كونها ترتبط برسم وتحديد ماهية العلاقة بين الحضارات وترتبط بفلسفة الحضارة)[1].

– نظرية تعارف الحضارات إضافة إلى كونها قد قدمت الحلول المناسبة لمشكل العلاقة بين الحضارات فهي أيضا تجسيد للدور العربي الإسلامي ومكانته في ظل التحديات الراهنة [2]، وكأني بالباحث يريد أن يبين أن الفكر العربي الإسلامي قادر على الإبداع من منطلق حضارته .

ب – أهدافها :

إن نظرية التعارف الحضاري تعبر عن نظرة استشرافية لمستقبل العلاقات الإنسانية والحضارية لذلك فهدفها الرئيس هو تحقيق التعارف عن طريق كل المفاهيم الإيجابية التي تحتاج إلى وقفة لتوضيح معانيها ، وعن هذه الأهداف نذهب إلى ما حدده الدكتور محمد مراح مع مراعاة فكرة الدكتور زكي الميلاد إذا تطلب الأمر ذلك ، وتتجلى هذه الأهداف عموما فيما يلي :

– التقارب والتسامح :

يقتضي التعارف الإيجابي بذل كل طرف من أطراف التعارف جهدا كافيا للتعرف على ما يقربه من الطرف الآخر الذي يشاركه نفس التطلعات ، فيبحث القائمون على التعارف في ثقافاتهم وحضاراتهم عمايقرب بينهم من الأشواق والآمال والانجذاب نحو كل ماهو إنساني [3]. كالتسامح هذا المفهوم الذي كان محل نقاش في إحدى مقالات زكي الميلاد تحت عنوان : دفاعا عن فكرة التسامح ، يذكر الميلاد أن فكرة التسامح تعرضت إلى نوع من الشك والنقد والمساءلة لحد وصل عند البعض إلى المطالبة بالتوقف عن استعمالها واستبدالها بتسميات أخرى تحل مكانها ، وتنهض بوظيفتها وتكون أكثر تجليا وتخلقا منها . وقد صدر هذا الرفض في الغالب كما يقول الميلاد من رجال دين مسيحيين عرب وأوروبيين ، وذلك لأن الكلمة حسب وجهة نظرهم تعبر عن حالة من التعالي والترفع ، والتفاضل الذاتي غير المنطوق[4].

---

(1)زياد عبد الكريم النجم : الموقع السابق.

(2) الموقع نفسه .

(3) محمد مراح : نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات ، مصدر سابق ، ص 93.

(4) زكي الميلاد: دفاعا عن فكرة التسامح ، مركز الإشعاع الإسلامي ، موقع سابق .

أما عن البديل الذي يفضلونه هو كلمة العفو بوصفها أخف من التسامح ، أو بالاحترام وغيرها من البدائل ، لكن زكي الميلاد له رأي آخر فيما يخص التسامح ، فيبدو من خلال تحليله للمصطلح أنه يفضل هذه التسمية وذلك أن التسامح له مورد وأصل يستند عليه ، ويتكون من ثلاث عناصر وهي :

*إن الخطأ يصدر من الجميع باعترافهم بذلك وهي الفكرة التي ينبغي التسليم بها .

*الاختلاف بين البشر أعظم حقيقة يجب التسليم بها .

*مادام الخطأ يصدر من الجميع ، والاختلاف حادث في عالم البشر فهناك حاجة إستباقية دائما إلى تفادي الخطأ ، والتعاطي مع الاختلاف ألا وهي التسامح ، وهنا يقول الميلاد (وعلى هذا الأساس فالحاجة إلى التسامح باعتبار أن الخطأ يصدر من الجميع ، فلا من الجميع أن يستبق هذه الحالة بفكرة التسامح لتوجيه هذه الحالة وللرضى بها)[1].

فضلا عن ما سبق ذكره نقول مع الميلاد أن فكرة التسامح هي من الكلمات التي تتصل بالتراث الديني الإسلامي ، وبالخبرة الإسلامية ، فهي من الكلمات التي استعملت وصفا للشريعة فنقول الشريعة السمحة . لذلك فنحن في أمس الحاجة للتسامح ، خاصة إذا نظرنا إلى التقدم الذي أحرزته بعض الدول الإسلامية التي تبنت المفهوم مثل سنغافورة ، فعلى الرغم من كونها مزيج من مجموعات بشرية متنوعة تنتمي إلى أصول وعرقيات مختلفة إلا أنها استطاعت الالتزام بمبدأ التسامح [2].

– التعايش السلمي:

ويتطلب معرفة بفلسفة السلام وتفكيرا جادا للخروج بالمسألة من حسابات ومصالح السياسيين والعسكريين وأصحاب المنفعة من صناعة التسلح إلى ساحات التوعية العامة واصطناع جماعات الضغط مندعاة السلام فيكل حضارة وكل مجتمع ، حتى يسود المجتمع الدولي ثقافة حضارية تمنح فكرة السلام صورتهاالحقيقية بأنتضمن وضعها في ذمة المبادئ لا المصالح [3] .

(1) زكي الميلاد الموقع السابق.

(2) الموقع نفسه.

(3) محمد مراح : نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات ، مصدر سابق ، ص 93.

– فك عقدة الهيمنة وتجاوز عقيدة الصراع:

لأن الحضارة الغربية الحديثة بنيت على الصراع والهيمنة وما يزال الصراع هو المحرك الأساسي لسياسة الغرب وأفضل نموذج له السياسة الأمريكية ، القائمة على ضرورة خلق العدو الذي يسمح للفرد بنعمة الحرية الشخصية ، ولتجاوز هذا الأمر لا بد من إجراء محاورات ولقاءات مستمرة بين النخب المفكرة لشتى الحضارات .

– معرفة الآخر على حقيقته وتصحيح الصورة المسبقة عنه:

كثيرا ما رسمت الحضارات صورا نمطية لغيرها من الحضارات ، فلا تنظر إليها إلا من خلال تلك الصورة وتخضع حسابات التعامل معها لمقتضاها ، لكن في الكثير من الأحيان تكون هذه الصور مغلوطة ، ويعد خطاب الأمير تشارلز ولي العهد البريطاني من أرقى وأنضج الخطابات الصادرة من الغرب ، وذلك عندما ألقى كلمته في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية سنة 1993 موضحا خطأ النظرة الغربية السيئة للعالم الإسلامي داعيا بذلك إلى تجاوزها ومحاولة التعرف على الحضارة الإسلامية وعلاقتها بالحضارة الغربية [1].

– تشجيع فكرة الانتفاع المتبادل من خيارات الأرض من خلال فكرة التعاون :

فالرؤية الإسلامية لهذا الهدف تنطلق من أن الله لم يخلق الأرض لنتصادم ونسفك فيها الدماء ، يقول تعالى﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[الملك ، الآية 15]وعليه فإن مهمة النخب المؤمنة بتعارف الحضارات هي الكشف عن تغليط الرأي العام الغربي وتزييفه للوقائع واستغلال الأحداث كحادث 11 سبتمبر 2001 لتمرير خطاب الكراهية والصراع [2] .

– احترام الخصوصيات الحضارية:

إن ما يفرق حضارة عن أخرى هي خصوصيات ومميزات كل منهما ، فتشكل بذلك الحضارات تنوعا يغني الحضارة العالمية وهو ما يجب أن يستهدفه التعارف الحضاري بصورة إيجابية ، فتحتل في جدول أعمال المتعارفين مكانة متميزة يعرض من خلالها كل فريق خصائص حضارته ومميزاتها وفلسفتها في الحياة ورؤيتها للقضايا الكبرى ، بهذه الطريقة نستطيع أن نصل إلى تحقيق التعارف الحضاري .

(1) محمد مراح : المصدر السابق، ص ص 97/96.
(2) المصدر نفسه، ص ص 98/ 99.

الفصل الثالث

الفصل الثالث : مقاربات نقدية حول نظرية تعارف الحضارات

- المدخل

المبحث الأول : تعارف الحضارات في ميزان النقد

أولا : محمد كمال الدين إمام

ثانيا : نادية مصطفى

ثالثا : منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة

رابعا : محمد عمارة

المبحث الثاني : تعارف الحضارات في العالمين العربي والإسلامي

أولا : في الإمارات العربية

ثانيا : في تونس

ثالثا : في مصر

رابعا : في سوريا

خامسا : في الجزائر

سادسا : في ماليزيا

المدخل

إن نظرية تعارف الحضارات قامت على أساس خطوات أطلق عليها الميلاد الفحص والنقد والتأصيل وذلك ليتوصل إلى ضبط دقيق لنظريته إذ انطلق من نقده للنظريات التي اهتمت بشكل العلاقة بين الحضارات ونقصد بها صدام وحوار الحضارات ، وفكرة النقد هذه منطلق سليم لأي نظرية لذلك وما يصدق على باقي النظريات يصدق أيضا على نظرية تعارف الحضارات ،فهي الأخرى أخضعت لميزان النقد ومن ثم التقييم سواء ذلك بتوضيح عناصر النقص فيها أو بتدعيمها وهذه المقاربة النقدية لم تنقص من قيمتها بل زادتها دقة وتوضيحا ، حتى باتت حديث المفكرين والأبحاث الجامعية والمناهج الدراسية ، فما هي أهم الانتقادات الموجهة للنظرية؟ وما مدى حضورها على المستوى الفكري الإسلامي والعربي ؟ وهل تجاوز صداها حدود العالم الإسلامي العربي؟

المبحث الأول: تعارف الحضارات في ميزان النقد:

أولا : محمد كمال الدين إمام :

ينطلق الدكتور من مصطلح التعارف في حد ذاته ، والذي خلق لديه نوع من التخوف والارتباك في بداية الأمر خاصة وأن العصر الحديث شهد فوضى المفاهيم التي تحتاج لتثبيتها إلى معرفة حقلها الدلالي يقول الدكتور الإمام (في عصر فوضى الكلمات تحتاج الألفاظ إلى ضبط محرر مفهومها الدلالي ويفصح عن مضمونها المعرفي بعد أن تخرج من رحم معجمها اللغوي ، إلى زخم معجمها المصطلحي الجديد)[2]، فكل مصطلح يخرج من الاستعمال العام إلى الخاص يفقد تدريجيا انتماءه العام ويعلن انتماءه للغة خاصة ، ويبدأ في نسج علاقة مع المصطلحات الأخرى لتتشكل داخل نسق مفاهيمي ، وهذا بالتحديد ما يحصل مع تعارف الحضارات ، فهو كما يذكر الدكتور إمام (من هذا المنظور الدلالي أقرأ تعارف الحضارات باعتباره مصطلحا في معجم خاص وليس مفردة في قاموس لغوي)[3] ، ويستطرد الدكتور واصفا كيف استطاع زكي الميلاد إخراج وليده من القوة إلى الفعل ، وكيف أن هذا المفهوم استقطب العديد من الباحثين ، لكن (هذا الحماس المفعم بجاذبية المصطلح الجديد ، سرعان ما تكتشف أنه أقل من طموحاتنا لأن مفهوم التعارف بحاجة إلى تعريف وسرعان ما يحتوينا قلق علمي عندما يحاول زكي الميلاد ، أن يوجد نسبا أو في القليل تجاورا بين مفهوم التعارف ... وبين مفهوم التواصل عند المفكر الألماني المعاصر يورغن هابرماس)[4] ، من هنا أوضح الدكتور إمام عن تخوفه من وقوع الميلاد في إشكالية استمداد المصطلح من الفكر الغربي المخالف لأرضية التعارف التي انطلق منها زكي الميلاد وهي القرآن الكريم ، وفي هذا الصدد يذكر الميلاد أن محمد كمال الدين إمام أفصح عن تخوفه هذا وهو تخوف في محله خاصة وأن الفكر العربي متهم بالخضوع للهيمنة الفكرية الغربية .

---

(1) سعيد بن سعيد العلوي: من أجل تعارف إيجابي للحضارات..المركزية الفكرية الغربية في ميزان النقد، من كتاب تعارف الحضارات،مصدر سابق، ص 246.

(2) المصدر نفسه ، ص 367.

(3) حسين آل غزوي : مؤتمر تعارف الحضارات الإسكندرية 19/18 مايو 2011م، مجلة الكلمة ، السنة الثامنة عشر خريف 2011م ، العدد 73 ، ص 161.

(4) محمد كمال الدين إمام: مصطلح تعارف الحضارات رؤية إسلامية حوار مع زكي الميلاد، مقال من كتاب تعارف الحضارات ، مصدر سابق، ص 373.

لكن حدث وأن تراجع كمال الدين إمام عن تخوفه وذلك عندما أعلن في مؤتمر دولي بعنوان تعارف الحضارات المنعقد في مدينة الإسكندرية ما بين 15/14 جمادى الآخر 1432 هـ الموافق لـ 19/18 مايو 2011م[1]عن موقفه من التعارف قائلا (في هذه الوظيفة المزدوجة تكمن أهمية تعارف الحضارات باعتباره أكبر من مفهوم لأنه في الفضاء الإسلامي العام، يعد تأسيسا لمشروع حضاري يستهدف صحوة الأمة ونهضة العالم وربما يصبح مبدأ تعارف الحضارات هو هديتنا للتاريخ العقلي المعاصر)[1]، وهذا الموقف توصل إليه الباحث بعد تحليل لمصطلح التعارف وعلاقته بالقرآن ، وأبعاده الإنسانية التي تفوق أبعاد التواصل ، فالتعارف كما يذكر في المفهوم الإسلامي ليس صيغة فلسفية مجردة ولا متعالية ، ولكنه مبدأ يقوم على التواصل السليم الذي يحدث بين طرفين [3]. وعليه نستنتج أنه لا يمكن أن يقوم التعارف إلا بوجود المعروف ، أما عن التواصل فيكون خبريا ، لا اعتبار فيه للقيمة الأخلاقية ، وكأننا بالدكتور يربط مفهوم التعارف بالقيم الأخلاقية وهذا ما يتضح في قوله (فالاتصال تواصل خبري لا اعتبار فيه للقيمة الخلقية في حين أن التعارف تواصل خبري لا ينفك عن القيمة الخلقية المحمودة ، فالتعارف يكون مبنيا أصلا على معرفة هي إدراك لمعروف معين)[4].

ضف إلى ذلك إنه يربط التعارف بالاعتراف ، ويجعل منه شرطا أساسيا لحدوث التعارف حتى تتم العلاقة الأخلاقية بين الملقى والمتلقي ، فلولا اعتراف الطرفين بوجود الآخر ، وتجاوز مشكل المركزية لما حدث تعارف أصلا ، يقول (وهذا يعني أن العلاقة بين الملقي والمتلقي علاقة أخلاقية لا غبار عليها ، وحينئذ ينفتح لهما طريق المعاملة بالحسنى ، وتنشأ بينهما روابط الاحترام والانفتاح والتسامح والتعاون والتقارب)[5] ، ثم يسترسل الدكتور في شرح التعارف وشروطه إلى أن يصل إلى الاشتراك في الأصل الإنساني الواحد ، الذي لا ينفي التميز والاختلاف بين الملقي والمتلقي ، وهذا ما يدفعهما إلى مزيد من التعارف والتواصل حتى يتعرف كل منهما على ما عند الآخر .

---

(1) حسين آل غزوي: مؤتمر تعارف الحضارات ، مرجع سابق، ص 161.

(2) محمد كمال الدين إمام: مصطلح تعارف الحضارات رؤية إسلامية حوار مع زكي الميلاد، مصدر سابق ، ص 373.

(3) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه ، ص ص 374/373.

وإذا عدنا إلى ربط التعارف بالأخلاق ، فإن ذلك أيضا يكون فيه تفاوت ، أي تفاوت أخلاقي بين المتعارفين في حين الاتصال المعلوماتي لا يفترض عنصر القيمة الأخلاقية يقول (وهكذا يظهر أن مبدأ التعارف الإسلامي ، يقر بالتفاوت الأخلاقي بين المتعارفين ... كما يقر بالاختلاف الثقافي بين المتعارفين لأنه سبب في توسيع دائرة معارفهما ، بينما الاتصال المعلوماتي يلغي كليا عنصر الأخلاق في المعلومات)[1].

أما عن التعارف بالمعنى الوظيفي ، فيذكر الدكتور إمام أنه يتحرك في مسارين :

أ – مسار تكويني : وظيفته حفظ التنوع باعتباره سنة كونية ، والآية التي رجع إليها الدكتور زكي الميلاد تدعم هذا التنوع ، فالخلق والجعل كلاهما يشير إلى الجبلة والفطرة [2].

ب – مسار تكليفي : لأن كلمة " لتعارفوا " ليست مجرد توصيف لواقع بل هي تكليف بواجب ، وعليه فإن أمة الإسلام مطالبة بأن تكون أمة الوسط والأمة المبادرة إلى تفعيل التعارف الحضاري [3] ، ولكي يحدث هذا التفعيل ، يجب على المسلمين السعي الى العلم النافع ، لأن جمودهم سيصبح معصية ، وتخلفهم إثم . كما يجب أن لا يحتكروا ثمار حضارتهم (فلا يكتم علما ولا يصادر قلما أمينا ولا يصد أمام المعرفة بكل أشكالها بابا)[4] .

وأخيرا يوضح الدكتور كمال الدين إمام أهمية التعارف ، فيعترف أنه ليس مجرد فكرة بل إنه مشروع حضاري يعزى الفضل في تأسيسه للمفكر زكي الميلاد ، وهذا ما يبدو في قوله (هذا يعني أن تعارف الحضارات ليس مقدمة نظرية بل هو في الرؤية الإسلامية ، سنة كونية ، وفي ظل التفرقة التي ينبغي أن توحد بين النظام والأحكام ، يصبح مبدأ تعارف الحضارات جزءا من نظام تأتي الأحكام الإسلامية كلها داعمة له إن تعارف الحضارات نظام قبلي تقرأ في ضوئه العلاقة بين الوظيفة الحضارية وغاياتها ، وتقرأ في ضوئه العلاقة بين المعرفة باعتبارها نظرية في العلم ، والتعارف باعتباره واجبا إنسانيا عاما)[5].

---

(1) محمد كمال الدين إمام : المصدر السابق ، ص 374.

(2) المصدر نفسه ، ص 375.

(3) المصدر نفسه ، ص 376.

(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه ، ص 377.

ثانيا :نادية محمود مصطفى :

صرحت الدكتورة في مقال لها نشر في مجلة رسالة التقريب بعنوان حوار الحضارات على ضوء العلاقات الدولية الراهنة ، أن المجتمع العالمي يعيش أزمة قيم ثقافية ، تحتاج إلى مشاريع حضارية لتجاوزها . وما يصدق على العالم ككل يصدق أيضا على العالم الإسلامي الذي هو في حاجة ماسة إلى مشروع حضاري يكون منطلقه الدين الإسلامي ، حيث تقول الدكتورة إن المسلمين في حاجة إلى خطاب غير اعتذاري ، خطاب ينطلق من الذات الإسلامية وخصائصها ، حتى يتحقق التوازن في الرؤية التي هي أساس الفاعلية [1] ، خاصة وأن الأمة الإسلامية اليوم تتعرض لأخطر موجات التحدي الذي يهدد كيانها ، واستقرارها ، وقد شهدت الساحة الفكرية العربية بروز عدة خطابات حضارية ، أطلقت عليها الباحثة اسم " رباعية الخطابات الحضارية" حيث تقول (إن التعدد والتنوع والحوار والتعارف رباعية تقع في صميم المنظور الحضاري للعلاقات بين الأمم والشعوب و الدول ، وتنتظم هذه الرباعية في إطار منظومة أكثر شمولية من السنن الحضارية ، التعارف الحضاري ، التدافع الحضاري ، التداول الحضاري)[2] .

ولتوضيح معنى التعارف وقيمته تعود الدكتورة إلى الحوار الحضاري معتبرة أن الحوار الذي يبنى على أساس القرآن والسنة ، هو مفهوم يختلف في جوهره عن المفهوم الغربي ، كما يختلف أيضا في غاياته ودوافعه لكن استخدام هذا المفهوم في ظل العولمة لن يؤتي ثماره ، خاصة وأن الأوضاع الحالية جعلت دعاة الحوار من العالم الإسلامي ، مجرد مدافعين عن الإسلام أمام الاتهامات الموجهة له من طرف الآخر فهي تقول (إلا أن استخدام هذا المصطلح من داخل الدائرة الإسلامية ، وفي ظل العولمة إنما يضعنا في نطاق الدائرة الاعتذارية الدافعية عن الإسلام والمسلمين)[3] ، أما التعارف الذي قدمه مجموعة من المفكرين وعلى رأسهم زكي الميلاد فهو استجابة إيجابية وليس مجرد رد فعل لما أثارته أطروحات صراع الحضارات ، التي تنطلق من نظرة مادية لشكل العلاقات الحضارية ، كما أن التعارف فكرة تقوم على سنة التنوع ، كما أنها رسالة لا يمكن أن تكون اعتذاريه تبريرية دفاعية [4].

---

(1) نادية محمود مصطفى: حوار الحضارات على ضوء العلاقات الدولية الراهنة ، رسالة تقريب ، العدد 32، 1422، https//iranarab.com

(2) حسين آل غزوي : مؤتمر تعارف الحضارات ، مرجع سابق ، ص 171.

(3) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(4) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

إضافة إلى أنه إذا كان الحوار هو إدارة سلمية للصراع ، فإن التعارف لا يكون بالضرورة مرتبطا ببيئة سلمية أو لا صراعية ، وعليه قد يكون التعارف في إطار صراعي أو تعاوني سلمي حواري ، وقد يتحقق في إطار صراعي من خلال الحرب والديبلوماسية [1].

وبعد عرض هذه المقارنة بين المفهومين الحوار والتعارف نخلص إلى القول ، أن الدكتورة أشادت وبقوة بالفكرة التي قدمها زكي الميلاد ، إذ يذكر الدكتور محمد الإرناؤوط مدير بيت الحكمة في جامعة آل البيت في الأردن (أن الدكتورة نادية مصطفى ترفض ما هو مطروح من تسميات حول العلاقات بين الحضارات وتدعو إلى خيار آخر هو تعارف الحضارات)[2].

وتقدم الدكتورة ملاحظة حول التعارف الحضاري الذي لا يكون بين الحضارات فحسب بل قد يكون أيضا بين الثقافات التي تنتمي إلى نفس الحضارة ، حيث صرحت قائلة (مما لا شك فيه أن نماذج التعارف بين أقوام وشعوب ، والثقافات والحضارات العربية الإسلامية الجامعة لا تقل أهمية عن نماذج التعارف بين الحضارات)[3].

إذن لا بد أن يكون هناك تعارف بيني داخل الحضارة الإسلامية أي بين العرب والترك والفرس حتى يتجدد الوعي الحضاري للأمة الإسلامية.

ثالثا :منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة(الآيسيسكو) :

وتعرف بمنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة ، وهي منظمة دولية غير ربحية تفرعت عن منظمة التعاون الإسلامي مقرها الرباط عاصمة المغرب [4].

البداية أشارت المنظمة إلى أن موضوع العلاقة بين الحضارات من المواضيع المهمة التي عني بها المجتمع الدولي ، سواء على مستوى المعالجة التاريخية أو على مستوى الدراسة للواقع الراهن والمستقبل المنظور له [5].

---

(1) حسين آل غزوي :المرجع السابق ، ص 171.
(2) زكي الميلاد: تعارف الحضارات ، مصدر سابق ، ص 26.
(3) حسين آل غزوي : مرجع سابق، ص 171 .
(4) منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة ، 2022/04/02، https://www.icesco.org
(5) حسين آل غزوي : مرجع سابق، ص 171 .

وأن تعزيز الحوار بين الثقافات والتعارف بين الحضارات ، يقتضي إقرار مبدأ التعددية الحضارية والتنوع الحضاري فالتعارف لا يكون بالضرورة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية بل هو مفهوم يشمل جميع الحضارات على تنوعها وتعدد مشاربها [1]

أما عن موقف المنظمة من أطروحة تعارف الحضارات ، فقد اعتبرتها فرصة لتقديم الصورة المثلى للفكر الإسلامي الوسطي ، وتحويله إلى ثقافة معيشة في حياة المسلمين ، وصوت يعبر عنهم بوصفهم طرفا محاورا وفاعلا ومتفاعلا ومتعارفا مع بقية الكيانات الحضارية الأخرى [2].

كما أنها نظرت للحوار والتعارف نظرة عملية ، فلم تعتبر الأطروحتين مجرد نظريات بعيدة عن الواقع بل هي وعلى حد قولهم (ممارسة تربوية وتجارب عملية أورثتنا ثروة فكرية تشهد على تاريخ الاختلاف البناء المفضي إلى التعدد والتنوع في مسيرتنا الحضارية)[3].

أما عن العلاقة بين الحوار والتعارف فلا يمكن اعتبار التعارف بديلا عن الحوار الحضاري بل يمكن عده أحد مداخل الحوار ، أي أن المتحاورين لن يتمكنوا من نقل فكرة الحوار من وجود بالقوة إلى وجود بالفعل إلا إذا تعرف كل طرف من الأطراف المتحاورة على الآخر الذي سيدخل معه في علاقة تحاور ، والتعارف يكون بالإحاطة الشاملة لكل مناحي الحياة ، بما فيها العلوم ، والمعارف ، والمعتقد ، والثقافة ، والحضارة بعبارة أكثر شمولية . أما عن الحوار فهو الوسيلة التي يستخدمها المحاور أثناء تعرفه على الآخر .

كما يستند الحوار في رأيهم إلى أسس ثابتة ، وضوابط محكمة ، ويقوم على منطلقات ثلاثة ألا وهي : الاحترام المتبادل ، الإنصاف والعدل ، ونبذ التعصب والكراهية والمركزية الحضارية أو الدينية [4].

فإذا كان الحوار هو البوابة التي يحدث من خلالها التعارف الجاد والعملي فإن لهذا الحوار شروط نذكر منها :

– أن يكون الحوار متكافئ ، تتوفر فيه شروط المساواة والندية والإرادة المشتركة ، وأن تتعدد مستوياته وتتفاوت دراجاته ، بحيث يكون حوار شاملا يدور مع مختلف الفئات والشرائح ، على المستوى الحكومي وعلى صعيد

(1) رسالة نصية عبر الايميلzakialmilad@almilad.org-02-11-2021

(2) حسين آل غزوي : مؤتمر تعارف الحضارات ، مرجع سابق، ص 172 .

(3) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(4) زكي الميلاد: تعارف الحضارات رؤية جديدة لمستقبل العلاقات بين الحضارات ، مصدر سابق ، ص 237.

المنظمات الأهلية ، والمؤسسات الفكرية والعلمية والتربوية والثقافية ذات العلاقة بالقضايا والمجالات التي تحدد لهذا الحوار[1].

– أن يكون الحوار منضبطا بسلطة المعرفة وقيم التعارف ومبادئ الاعتراف ، فالمعرفة كفيلة بتصحيح الصور النمطية المتبادلة بين الشعوب التي أنتجها الجهل بالآخر ، رغم الثورة التقنية والتطور في مجال الاتصال والتواصل الذي يفترض التقريب بين الشعوب وتعزيز سبل التعارف الحضاري بينها ، فإذا تحقق ذلك وصل الحوار إلى أهدافه .

– أن يهدف الحوار إلى تحقيق منافع مشتركة للأطراف المتحاورة ، ويؤدي إلى تأمين المصالح التي يحرص عليها والتي لها صلة بالتقدم في مجالات الحياة المختلفة ، وأن يسعى إلى محاربة الظلم والعدوان على الشعوب والأمم وأن يعمل على إزالة أسباب الصراعات التي يكون ضحيتها في العادة الأبرياء ، وأن يحقق التعاون بين الجميع مسلمين وغير مسلمين .

– أن يكون الحوار متحضرا ومترفعا عن الموضوعات المثيرة للجدل والاختلاف ولا سبيل إلى حلها ، إلا بتنازل طرف من الأطراف عن أحد ثوابته العقدية[2].

– أن يسير الحوار في خطوط متوازية ووفق برامج معدة مسبقا ، فلا يتوقف الحوار في هذا الاتجاه حول موضوع معين ريثما تظهر النتائج المترتبة على الحوار في الاتجاه الثاني ، وإنما تترابط حلقات الحوار وتتداخل الاتجاهات فيما بينها وصولا إلى التكامل بين الأهداف المتوخاة ، والتعارف بين الحضارات [3].

إذا توفرت هذه الشروط للحوار ، وسار على خطاها نستطيع حينئذ أن نقول أنه بإمكاننا التعايش في عالم تسوده قيم التسامح والسلام والاستقرار ، ومن ثمة تحقيق التعارف الحضاري ، إذن ما نخلص إليه من خلال هذه الشروط هو أن هذا الحوار هو الطريق المفضي إلى التعارف ، الذي سيعمل على تغيير العالم والوصول به إلى بر السلام والعيش المشترك دون إقصاء أو تدمير ، أو حروب لا طائل من ورائها . فغاية التعارف الحضاري غاية نبيلة ، تقوم على احترام الاختلاف والتنوع والتعدد (وبناء علاقات متينة مبنية على الثقة المتبادلة لتحرير العقول من أسر الصور النمطية والتصورات الذهنية وانتشالها من ظلمات اللاوعي إلى أنوار الوعي)[4].

(1) زكي الميلاد : المصدر السابق ، ص 237 .
(2) المصدر نفسه ، ص 238 .
(3)المصدر نفسه ، ص 239.
(4) المصدر نفسه ، ص 240.

ثم تستطرد المنظمة محصية مناقب التعرف الحضاري معتبرة أن هذه الأطروحة هي فرصة لتقديم الصورة المثلى للفكر الإسلامي الوسطي ، وتحويله إلى ثقافة معيشة في حياة المسلمين ، كما أنها ذلك الصوت المعبر عنهم ن وهي طرف محاور وفاعل ومتعارف مع باقي الكيانات الحضارية الأخرى [1].

ضف إلى ذلك فإن نظرية تعارف الحضارات نظرية بنائية استئنافية تنفتح بوعي على النماذج الحضارية ،و الأنساق الثقافية المختلفة ، وهي مبتغى الفكر الإسلامي ، إنها نظرية تعبر عن روح الوحي المرشد ، إنها المنهج الذي يجسد مطالب الوحي عمليا وواقعيا (إنها الضمانة الحقيقية لنجاح كل محاولة تبتغي تجديد الفكر الإسلامي الموجه بالآيات القرآنية والكونية ، والباني للإنسان والحضارة الإنسانية ، بما يصحح العلاقة مع الذات في سعيها إلى النهوض الحضاري ، ومع الآخر في علاقتها بالتعارف الحضاري)[2].

بهذه الإشادة بنظرية تعارف الحضارات ، تعقب المنظمة قائلة أن هذه النظرية لا تلغي باقي الأطروحات الحضارية الأخرى مثل التلاقح ، التدافع ، التعاون ، فكلها مكملة لبعضها لها نفس الأهداف غير التنافسية لكن ما ينقصها هو بحث السبل الكفيلة بإجراءاتها وتفعيلها وتحقيق أهدافها [3].

رابعا :محمد عمارة :

ينطلق الدكتور من آية التعارف ليقر أن الواحدية والأحادية إلا للذات الإلهية وما عدا ذلك فهو قائم على التعدد والتنوع والاختلاف والتمايز ، وهذه الصفات هي سنة الله في خلقه التي لا تبديل ولا تحويل لها حسبما تقتضي الحاجة أو الظروف لذلك ، وإذا سلمنا بهذا التعدد سواء بين الناس أو بين المخلوقات ككل فلا يعني ذلك أن الله تعالى ابتغى من ذلك الانعزال والعيش حياة انفرادية بحكم الاختلاف ، يقول الدكتور محمد عمارة (وهذه التعددية بسبب أنها قائمة في كون واحد فإنها لا تعني التشرذم الدائم ، ولا القطيعة التامة والانفصال الحاد ، لأنها تمايز وتنوع في كون واحد)[4]. وفي ذات الوقت فالاختلاف لا يعني الوحدة والاندماج والذوبان في نموذج واحد ، فهي خاضعة لقوانين علاقات العموم والخصوص ، وما الاتفاق إلا في صفات ومكونات ، والاختلاف في صفات ومكونات أخرى ، وهذا هو التعارف [5].

---

(1) زكي الميلاد :تعارف الحضارات رؤية جديدة لمستقبل العلاقات بين الحضارات ، المصدر السابق ، ص 240 .

(2) المصدر نفسه ، ص 241 .

(3)حسين آل غزوي : مؤتمر تعارف الحضارات ،مرجع سابق ، ص 172.

(4) زكي الميلاد : مصدر سابق ، ص 131.

(5) المصدر نفسه ، ص 132.

ثم يضرب مثالا يوضح من خلاله كيف يكون الاختلاف والتمايز وكيف تكون الوحدة والاتفاق فالإنسان الذي يعيش في قبيلة أو شعب يتميز كفرد بصفات تخصه وحده ، كي يكون له بصمة في مجتمعه هذا من جهة ومن جهة أخرى هو يعيش في مجتمعه الذي يتصف بصفات تجمع بين أفراده ، وقس على ذلك الأمة بغيرها من الأمم والحضارة بغيرها من الحضارات . وبالرجوع إلى ماضي الحضارات وتاريخها الطويل سنجد أنها خضعت فعلا لقانون الخصوص والعموم ، فلم يحدث أن اندمجت هذه الحضارات في بوتقة واحدة وتماهت في حضارة واحدة ، حتى في ظل ما مرت به من ثورات وغزو واحتلال ، إلا أنها حافظت على خصوصيتها ولعل ما حدث في الشرق القديم خير دليل على ذلك ، فعلى الرغم مما تعرض له على يد الإغريق والرومان ، والصليبيين ، والاستعمار الغربي ، إلا أن حضارة الشرق بقيت محافظة عل خصوصيتها[1] وربما هذا أيضا ما حدث في شرق آسيا التي عاشت التعارف رغم الأسوار الصينية يقول محمد عمارة (ولم يحدث –أيضا – أن قامت أسوار صينية مانعة من التعارف بين الحضارات حتى في الأزمنة القديمة التي لم تكن قد تطورت فيها وسائل التواصل والاتصال ، وإنما كان هناك – دائما وأبدا– التفاعل الذي يثمر التعارف والخصوصية التي تثمر الحفاظ على التمايز والتعدد والاختلاف)[2].

ثم يعود بنا الدكتور إلى الأصل القرآني الذي أقر شكل العلاقة بين الحضارات في كثير من الآيات التي قسمها إلى أنموذجين :

– الأول خاص بالقوميات والأجناس في قوله تعالى﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾[الروم ، الآية 22] .

– الثاني في الشرائع والمناهج قوله تعالى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[المائدة الآية48].

فالتسابق الذي دعت له الآية الكريمة لا يكون إذا كان هناك قطيعة وعزلة بين هؤلاء الفرقاء المتسابقين ويشير الدكتور إلى أن هذه هي درجة التعارف والذي بدوره يكون سبيلا لتحقيق التعايش ، هذه هي الحكمة من التنوع والتعدد والاختلاف الوارد في الآية 13 من سورة الحجرات– آية التعارف –[3].

(1) زكي الميلاد : المصدر السابق ، ص 132 .

(2) المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

(3)المصدر نفسه ، ص 134.

إن التعارف هو تعبير عن الرؤية الإسلامية للعلاقة بين الثقافات والحضارات التي جسدتها الحضارة الإسلامية عندما تعاملت مع التنوع الحضاري الذي ورثته من منطلق احترام الخصوصية الحضارية بإقرار إلهي.

وبالعودة إلى تاريخ الحضارة الإسلامية يذكر عمارة أن الماضون من الأمم الإسلامية جسدوا فعلا مبدأ التعارف كقانون يحكم العلاقات الإنسانية ، وهنا يسوق مثالا عن حكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه (الممتد بين 13إلى23هـ)[1]. الذي استطاع أن يخرج الدولة الإسلامية عن بساطتها عندما امتدت حدودها بعد تخلصها من هيمنة الفرس والروم ، من مصر إلى فارس عبر الشام والعراق ، وفي ظل هذا التطور لم يعد هناك بد من البقاء على التنظيم السابق البسيط ، لذلك أستشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهل مجلسه حول إمكانية الاستفادة من الحضارات الأخرى المجاورة للحضارة الإسلامية عن طريق التواصل معها ، فكان الرد يتراوح بين الرفض والقبول ، لكن رجاحة عقل الخليفة جعلته يلجأ إلى خيار التعارف ، هكذا إذن بدأ التعارف بين الحضارة الإسلامية وباقي الحضارات الأخرى وقد ساعدها في تنظيم نفسها على جميع المستويات يقول الدكتور عمارة (هكذا تعارفت وتعرفت الحضارة الإسلامية على التنظيمات التي كانت سائدة في حضارات الشرق يومئذ الرومانية والفارسية ، فأخذت منها ما رأته مناسبا من النظم الإدارية والعسكرية والاقتصادية ، جاعلة هذه التنظيمات آليات لتحقيق مقاصد الإسلام[2] ، لكن هذا التعارف لم يدفع بعمر بن الخطاب أو بمن طبق التعارف بعده إلى التخلص من مقومات الهوية الإسلامية ، بل على العكس حافظ المسلمون على خصوصياتهم العقدية والقيمية ، في ذلك تطبيق لقانون الخصوص والعموم. ويعتبر نظام الخلافة تعبير واضح على خصوصية الحضارة الإسلامية ، فهي إبداع إسلامي يستمد فيه الخليفة سلطانه من الأمة التي تختاره أو تبايعه ، وتحاسبه وتعزله عند الضرورة[3] .

كما جسد التعارف في مجالات العلوم الطبيعية والدقيقة ، والفلسفات والإيديولوجيات ، وكان ذلك على يد الخليفة الأموي خالد بن يزيد ، ثم سلك عمر بن عبد العزيز نفس المسلك إذ يعتبر أول من عمم دراسة الطب في الحواضر الإسلامية بعد أن كانت دراسته مقصورة على الإسكندرية وحدها [4].

(1) زكي الميلاد: المصدر السابق ، ص 135.
(2) المصدر نفسه ، ص 137 .
(3) المصدر نفسه ، ص 138.
(4)المصدر نفسه ، ص 140.

وفي الدولة العباسية إبان حكم الخليفة المأمون تعرفت الحضارة الإسلامية على قطاع من العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تمثل في الفلسفة الأرسطية خصوصا ، ولم يكن ذلك اتخاذها فلسفة للإسلام ولا للحضارة الإسلامية ، وإنما للاستعانة بها لمواجهة الطوائف الغنوصية والباطنية[1].

إضافة إلى هذه النماذج المذكورة حول التعارف بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى ، تعرفت أيضا على تراث الحضارة الهندية ، وقد جسد هذا التعارف البيروني الذي نقل لنا ما تعلمه أثناء إقامته في الهند فأستطاع المسلمون التعرف على العلوم وكيفية صناعة الآلات الفلكية ... وغيرها ، لكن مع التحفظ على ما للهند من خصوصيات في مجال الفلسفة والدين [2].

وليس هذا فقط ما حققه التعارف الذي مارسه السابقون في مجالات عديدة ومختلفة ، بل إن التعارف استخدم في مجال النقد البناء القائم على الشك وخاصة في مجال العلوم التجريبية ، يقول الدكتور محمد عمارة (هكذا تجاوز التعارف الحضاري حدود الانفتاح و الاستفهام إلى مجالات النظر ، والشك والنقد والتصحيح والإضافة والإبداع)[3].

أما في العصر الحديث وبعد قرون من الركود الذي سببته تلك الاعتداءات الخارجية على الأمة الإسلامية ، استفاقت هذه الأمة على وقع الصدمة التي أحدثتها الحملة الفرنسية بقيادة نابليون ، وهنا حمل بعض شيوخ الأزهر على عاتقهم ضرورة التغيير الذي لن يحدث بمعزل عن الحضارة الغربية ، فأرسل رفاعة الطهطاوي إلى باريس ليتعرف على الحضارة الغربية في موطنها ، وليغترف من ينابيعها الأصيلة ، لكن دون إهمال المبادئ والأصول الدينية ، فأستنتج الطهطاوي أن الحضارة الإسلامية لن تتقدم خطوة إلى الأمام بمعزل عن المدنية الأوروبية ، وظل المفكر هناك وبعد عودته قام بترجمة الكتب ونقلها إلى مصر ، لكن هذا الانفتاح جعل الإنسان المصري غير قادر على المحافظة على فيمه ، فبدأت معالم فقدان الهوية تظهر خاصة بعد إدخال الخديوي سعيد باشا القوانين الوضعية الغربية التي لاقت رفضا من طرف الطهطاوي[4]، وهو رفض يعبر عن الرؤية الإسلامية للتعارف الحضاري دون التماهي مع الحضارات الأخرى.

---

(1) زكي الميلاد: المصدر السابق ، ص 141.
(2) المصدر نفسه ، ص 144.
(3) المصدر نفسه ، ص 151 .
(4) المصدر نفسه ، ص 159.

من خلال هذا المقال الذي قدمه محمد عمارة حول تاريخ التعارف الحضاري ، يمكننا القول أن المفكر لا يرفض فكرة التعارف على الرغم من مشروعه الحضاري القائم على التدافع الحضاري ، بل هو يشيد بالتعارف الذي ارتبط وجوده بالعصور القديمة ، فالحضارة الإسلامية مارست التعارف وكان ذلك سببا في نجاحها ورقيها ، كما أكد محمد عمارة رحمه الله أن التعارف لا يعني الاندماج ، فالطبيعة البشرية تقوم على الاختلاف وهي سنة كونية ، وربما يقودنا موقف الدكتور إلى الجمع بين أطروحته في التدافع وأطروحة الميلاد في التعارف فكلاهما تؤكد على نفس المنطلقات ونفس الأهداف ألا وهي مشروع حضاري إسلامي يؤدي إلى نهضة الأمة ورقيها.

خلاصة القول إن هذه المواقف التقييمية المختلفة لنظرية تعارف الحضارات جاءت كلها داعمة للنظرية مع وجود اختلاف على مستوى الحجج الداعمة ،لكن ما يستوقف المطلع عليها ، هو ما قدمه الدكتور محمد كمال الدين إمام عندما أبدى تخوفه من أن يكون مفهوم التعارف مستمد من الفكر الغربي ، وبالتحديد من فكرة التواصل للمفكر الألماني هابرماس ، فإذا كان ذلك كذلك فإنه في هذه الحالة لا يمكن قبولها ، وذلك لاختلاف أرضية الأطروحتين ، لكنه في الأخير وبعد نقاش مستفيض مع الأستاذ زكي الميلاد اتضح الغموض لديه.

أما عن الدكتور محمد عمارة ، فقد عرض للتأصيل التاريخي للتعارف في الفكر الإسلامي . وعليه نلحظ أن جل الأفكار التقييمية لم تقدم نقدا يوضح نقاط الضعف في النظرية بقدر ما كان نقدا بناءا داعما لها.

المبحث الثاني :تعارف الحضارات في العالمين العربي والإسلامي :

شهدت نظرية تعارف الحضارات انتشارا واسعا في العالم العربي والإسلامي وهذا ما سنقف عنده في هذه الورقة البحثية إذ يذكر زكي الميلاد أن مفهوم تعارف الحضارات (ما إن عرف حتى أخذ طريقه سريعا إلى المجال التداولي ونال شهرة واسعة ، واكتسب اهتماما كبيرا ، وتطورا متراكما ، ومازال محافظا على هذه الوتيرة الصاعدة ، وقد تجاوز مرحلة بناء المفهوم وبات معروفا ومتحركا في حقل الدراسات الحضارية)[1].

لذلك وبناء على هذا القول يمكن رصد تطورات هذه الأطروحة التي تتحدث عن التعارف ، فقد تطرق لها العديد من الكتاب والباحثين والعلماء الأكاديميين من مختلف أقطار العالم العربي والإسلامي في مؤلفات وكتابات ومقالات وحوارات .

أولا : في الإمارات العربية المتحدة:

لقد برمجت نظرية التعارف ضمن المناهج الدراسية بدولة الإمارات المتحدة بالمقرر الخاص بالصف الحادي عشر وذلك سنة 1431/1430هـ الموافق لـ 2010/2009م تحت عنوان "نظريات التفاعل الحضاري" وهي أربعة نظريات :

- نظرية صراع الحضارات لصامويل هنتنجتون.
- نظرية حوار الحضارات لروجيه غارودي.
- نهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما.
- نظرية تعارف الحضارات لزكي الميلاد [2].

يقول زكي الميلاد (ولا شك في أن هذه الخطوة ستعطي فكرة تعارف الحضارات دفعة جديدة وقوية وستعرف الأجيال الجديدة بهذه الفكرة الخلاقة التي اتخذت من القرآن الكريم منبعا لها)[3].

---

(1) زكي الميلاد: فكرة تعارف الحضارات وكيف تطورت؟ ، مرجع سابق ، ص 07

(2) زكي الميلاد: نحن والعالم ، مصدر سابق ، ص 98.

(3) المصدر نفسه ، ص 99.

ثانيا : في تونس :

في السادس من شهر ديسمبر 2011م تم مناقشة رسالة دكتوراه بالمعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي – جامعة تونس – في العلوم الثقافية عنوانها : الصور الثقافية المتبادلة بين العالم الإسلامي والعالم النصراني ...زمن الحروب الصليبية ، من إعداد الباحثة التونسية سارة حكيمي وإشراف الدكتور ابراهيم جدلة ، ويذكر الميلاد أن الرسالة تكونت من أربعة أبواب وقد حمل الفصل الرابع عنوان : الصورة الثقافية للآخر ونظرية تعارف الحضارات [1]، وقد ركزت الباحثة على دراسة إشكالية العلاقة بين الحضارات لتتبنى الطرح الغارودي الداعي إلى الحوار بعد البحث والتقصي من طرف الباحثة وجدت أن أطروحة الحوار تعاني الكثير من النقائص يقول الميلاد (فما كان منها إلا إعادة السعي والبحث في حل آخر يمكنه تقريب الرؤى ، لأن التحاور مع الآخر لا يعني بالضرورة أن أغير صورتي النمطية عنه ، أو أن يغير هو صورته النمطية عني ، بل قد يؤدي ذلك إلى التصميم أكثر على تبني المواقف ، فشعرت بوجود حلقة منقوصة في المسألة ، وبعد تجارب وتساؤلات أعادت البحث من جديد إلى أن وجدت ضالتها في نظرية تعارف الحضارات)[2].

تعتبر هذه الرسالة أول عمل في دولة تونس ، وهو بحث أشاد به زكي الميلاد كثيرا وتم استدعاء الباحثة إلى مداخلة في مؤتمر الإسكندرية ، وهذا إن دل على شيء فإنما هو دليل على المسار التقدمي الذي تحرزه نظرية تعارف الحضارات في العالم العربي .

ثالثا : في مصر :

عقد بمدينة الإسكندرية بمصر المؤتمر الدولي لتعارف الحضارات ما بين 15/14 جمادي الآخر 1432هـ الموافق لـ 19/18 مايو 2011م ، تم تنظيمه من طرف مكتبة الإسكندرية بالتعاون مع مركز الحوار بالأزهر الشريف ، ومركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة وقد شارك في المؤتمر جمع غفير من العلماء والمفكرين والباحثين من مختلف أقطار العالم العربي والإسلامي [3].

---

(1) زكي الميلاد : المصدر السابق ، ص 100.

(2) المصدر نفسه، ص 115.

(3) حسين آل غزوي : مؤتمر تعارف الحضارات ، مرجع سابق ، ص 1.

بدأت أعمال المؤتمر بجلسة افتتاحية ألقيت فيها كلمات الجهات المنظمة للمؤتمر والتي تمت الإشارة فيها إلى أن الدين المشترك بين المسلمين وغيرهم من الأمم السابقة عليهم هو التوحيد المطلق والتصديق بالرسل والإيمان بالكتب السماوية ، دون تفرقة ولا تمييز عنصري ، كما تمت الإشارة إلى اختلاف الشرائع السماوية لكن ذلك لا يعني تنافرها بل هناك احترام متبادل بين من يتبنونها [1]، ثم تم الحديث عن سماحة الدين الإسلامي وانفتاحه على الحضارات الأخرى مستعينين في ذلك بالرجوع إلى الأصول القرآنية التي تركز على وحدة الإنسانية وهي الفكرة التي انطلق منها زكي الميلاد .

وبعد الكلمة الافتتاحية ، بدأت جلسات العمل وكانت الجلسة الأولى من نصيب تعارف الحضارات ...الفكرة والتأسيس ، ترأسها الدكتور أحمد الخمليشي ، وتحدث في هذه الجلسة ثلاثة باحثين منهم زكي الميلاد الذي حملت ورقته عنوان : لماذا مفهوم تعارف الحضارات ؟ الفكرة والخبرة والتأسيس ، تناول تحت هذا العنوان نبذة تاريخية عن حوار الحضارات وقسمها إلى أربعة أزمنة نذكرها باختصار :

- الزمن الأول تناول أطروحة المفكر الفرنسي روجيه غارودي .
- الزمن الثاني حمل عنوان هنتنجتون وصدام الحضارات [2].
- الزمن الثالث حمل عنوان الأمم المتحدة وحوار الحضارات.
- الزمن الرابع حمل عنوان الحادي عشر من سبتمبر وحوار الحضارات[3]

ثم انتقل بعدها الميلاد إلى موضوع تعارف الحضارات موضحا الأساس الذي انطلق منه في بناء نظريته لينتهي في الأخير إلى عرض جملة من الصعوبات التي تواجه هذه النظرية [4].

أما جلسة العمل الثانية فتمحورت حول "التعارف الحضاري في الفكر الإسلامي" ترأس الجلسة الدكتورة منى أبو زيد ، لتكن البداية مع الدكتور محمد مراح من الجزائر الذي عرض ورقة عمل بعنوان "نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات " عالج من خلالها بعض النقاط الخاصة بالنظرية وكان أبرزها أهداف التعارف الحضاري .

---

(1)حسين آل غزوي، المرجع السابق ،ص 1.
(2) المرجع نفسه، ص 02.
(3) المرجع نفسه ، ص 04.
(4) المرجع نفسه ، ص 05

أما الورقة الخاصة بـ "القابلية على التعارف الحضاري ، البعد الجوهري الغائب" فكانت من نصيب الدكتور يحي اليحياوي من المغرب ، عرض فيها أطروحة الصدام بالشرح والتحليل ثم أطروحة الحوار ، لينتقل أخيرا إلى الموضوع الرئيس وهو التعارف الحضاري، مبينا أن الحوار لا يمكن تجسيده واقعيا في غياب التعارف[1].

ثم قدم الدكتور محمد كمال الدين إمام ورقة عمل بعنوان " مصطلح تعارف الحضارات رؤية إسلامية حوار مع زكي الميلاد" وقد عرض الدكتور إمام لبعض الانتقادات الموجهة لنظرية تعارف الحضارات والتي قد أشرنا إليها سابقا .

أما جلسة العمل الثالثة فكان محورها "تعارف الحضارات ...الخبرة والتأسيس" وترأس هذه الجلسة الدكتور محمد أرناؤوط ، قدم من خلالها الباحث المغربي بنسعيد العلوي ورقة عمل حملت عنوان "من أجل تعارف إيجابي للحضارات: المركزية الفكرية الغربية في ميزان النقد"[2] .

ثم قدمت الدكتورة التونسية سارة حكيمي مداخلة عنوانها "الصورة الثقافية للآخر في إطار نظرية تعارف الحضارات" وضحت فيها العلاقة بين الأنا والآخر التي يجب أن تبنى على أساس التعارف .

أما الباحث التركي نوزاد صاواش فقد قدم ورقة بعنوان "استنفار التعليم والمال ، وصناعة الإنسان الحضاري وتعارف الحضارات: إطلالة على فلسفة المدارس التركية"[3] .

هذه أهم الأعمال المقدمة في مؤتمر الإسكندرية الذي خصص لنظرية تعارف الحضارات وكانت كل المداخلات تدعوا إلى ضرورة اعتماد نظرية تعارف الحضارات كبديل عن الحوار الحضاري الذي لم يؤتي ثماره بسبب عدم قدرة الدول على تطبيق هذا الحوار فعليا ، وهي تعبير عن مدى أهمية وانتشار نظرية تعارف الحضارات داخل العالم العربي والإسلامي ، وهناك العديد من اللقاءات والمؤتمرات التي ناقشت نظرية تعارف الحضارات .

---

(1) حسين آل غزوي ،المرجع السابق ، ص 1.
(2) المرجع نفسه ، ص 14.
(3) المرجع نفسه، ص 15.

رابعا : في سوريا :

أقام معهد جمعية الفتح الإسلامي بدمشق بالتعاون مع جامعة هارتفورد سيمزي الأمريكية برعاية من الأستاذ الدكتور محمد عبد الستار والسيد وزير الأوقاف ومفتي الجمهورية وعدد من رجالات الدين الإسلامي والمسيحي والديبلوماسيين والإعلاميين ، مؤتمر تعارف الحضارات في ظل الأسرة الإنسانية الواحدة ، بتاريخ 13 و14 يناير 2008م[1].

افتتحت الندوة أعمالها بتلاوة عطرة من آيات الذكر الحكيم ، ثم ألقى الدكتور حسام الدين فرفور كلمة معهد الفتح ، مبينا سبب اختيار التعارف كعنوان للملتقى ، فالتعارف من مستلزماته الحوار ومن أهدافه التآلف ، كما ألقى البروفيسور إبراهيم أبو ربيع أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة هارتفورد كلمة أشار فيها إلى التقارب الإنساني والفكري بين الشعوب ، وأن الهدف من هذا الملتقى هو التعرف على سوريا وشعبها مؤكدا رفضه وأعضاء الوفد المرافق ما تنشره الصحافة الأمريكية عن العرب والمسلمين .

كما نبه الدكتور أحمد بدر الدين حسون مفتي الجمهورية إلى ضرورة الابتعاد عن التبعية لكثير من العناوين التي صاغها غير المسلمين ، مؤكدا أن الحضارة بناها المسلمون ، وأنهى كلمته بالدعوة إلى احترام الرابط الإنسانية التي تجمع المسلمين بغيرهم من الشعوب الأخرى [2].

ثم بدأت الندوة أعمالها بعدة أوراق تناولت كلها شكل العلاقة مع الآخر التي يجب أن تكون علاقة تعارف وحوار ، لأن الدين الإسلامي وكل الأديان الأخرى تشترك في هذه الدعوة. واختتمت الندوة بحلقة نقاشية باللغة الانجليزية تناقش فيها المتحاورون حول أهم النقاط التي تم استعراضها ، ودعوا إلى ضرورة تفعيل التعارف والتواصل بين مختلف المذاهب والطوائف .

(1) عزيزة السبيني: تعارف الحضارات في ظل الأسرة الإنسانية الواحدة، صحيفة تشرين ثقافة وفنون، الأربعاء 16 كانون الثاني 2008

(2) المرجع نفسه .

خامسا : في الجزائر :

أ – مستغانم :

تم دعوة الأستاذ زكي الميلاد من قبل كلية العلوم الاجتماعية– قسم الفلسفة – بجامعة العلامة عبد الحميد ابن باديس بمستغانم وذلك لإلقاء محاضرة حول نظريته تعارف الحضارات ، وكان عنوانها "لماذا تعارف الحضارات ؟" وألقيت المحاضرة صباح يوم الأربعاء 21 نوفمبر 2012م[1] .

استهل المفكر محاضرته برسم خارطة طريق يسبر من خلالها أغوار نظرية تعارف الحضارات ، منطلقا بالمنهج العام الذي اعتمده ، ثم تعرض لتطور نظرية حوار الحضارات التي مرت بثلاث مراحل ، ثم انتقل إلى نقد الفكرة موضحا أنها كغيرها من الأطروحات تصب في مصلحة الحضارة الغربية ، وأخيرا انتقل إلى عرض نظرية تعارف الحضارات منطلقا من الآية الكريمة 13 من سورة الحجرات (وهنا عبر الأستاذ زكي الميلاد بالحضور من مرحلة الفحص والنقد إلى مرحلة الأصل والمثال ، هذه المرحلة التي شدت كل الحضور لمركزيتها وأيضا الأسلوب الخطابي الإرشادي للأستاذ زكي الميلاد)[2].

ثم عمد الميلاد إلى عرض التطور التاريخي لنظرية تعارف الحضارات منذ النشأة إلى الانتشار ، وربطها تاريخيا بسنة 1997م مرورا بعدة محطات إلى غاية 2011م . لتنتهي المحاضرة بذكر بعض الخصائص المتعلقة بالنظرية ، بعدها فتح المجال للنقاش وتساؤلات الحضور .

ب – وهران :

نظم مشروع البحث "قيم السلم في الفلسفة المعاصرة" المعتمد في برامج البحث الوطنية ، وبمساهمة مخبر "التراث والفكر المعاصر" بقسم الفلسفة جامعة وهران ، يوم 26 يونيو 2013م ندوة بعنوان "الحضارات بين الحوار والتصادم والتعارف" شارك فيها مجموعة من الأساتذة والباحثين الجزائريين لمناقشة ثقافة السلم باعتبارها مسألة حضارية [3]،تتجاذبها عدة أطروحات ، بعضها نظر لهذه المسألة من منطلق الحوار والتعايش أما البعض الآخر فعارضها بحجة التناحر والانغلاق، أما الطرف الثالث فقد اعتبر التعارف هو السبيل لذلك بحكم أنه الأساس المتين لشكل العلاقات الإنسانية .

---

(1) غريبي مراد: لقاء حول تعارف الحضارات في جامعة عبد الحميد بن باديس ، مجلة الكلمة ، العدد 78 ، السنة 20 ، شتاء 2013م/1434هـ، ص 194.

(2) المرجع نفسه ، ص 196.

(3) صايم عبد الكريم: الحضارات بين الحوار والتصادم والتعارف ، مجلة الكلمة ، العدد 80 ، السنة 20، صيف 2013م/1434هـ، ص 173.

وقد قسمت هذه الندوة إلى ثلاث جلسات ، الأولى اختصت بجلسة حوار الحضارات ، أما الثانية فكانت مخصصة لصدام الحضارات ، وأخيرا الجلسة الثالثة كانت من نصيب تعارف الحضارات، التي أشرف عليها الأستاذة بلحنافي جوهر والأستاذ بن دوبة شريف وعنوانها "تعارف الحضارات" وتخلل هذه الجلسة عدة مداخلات كان أهمها ما تعلق بنظرية زكي الميلاد[1]، التي قدمها الباحث بن حليلم شوقي من جامعة وهران طرح من خلال مداخلته تساؤلات نقلها عن زكي الميلاد يمكن تقديمها كالتالي : هل يسمح الغرب لنفسه أن يدخل في حوار مع حضارات لا يجد فيها التكافؤ معه وهو في الوقت نفسه محكوم بتوازنات مادية ؟ وهل أن الحضارات الأخرى بإمكانها الحوار مع الحضارات الكبرى كالحضارة الإسلامية والإفريقية في صورة متكافئة ؟[2]

أما الأستاذ الدكتور صايم عبد الحكيم فقد اقترح فكرة "تعارف الحضارات كمرجعية لأفق فلسفي جديد" [3].

وفي الأخير كانت الكلمة الختامية من نصيب الأستاذ بن بوهة أحمد من جامعة سيدي بلعباس منوها من خلالها بقيمة موضوع تعارف الحضارات وراهنتيه ، متمنيا تطويره إلى ملتقى دولي في المستقبل[4].

سادسا : في ماليزيا :

مؤتمر ماليزيا ، الذي قدم من خلاله المفكر زكي الميلاد مداخلة بعنوان "المرأة في تجديد رؤية الفكر الإسلامي لمسألة المرأة" وبما أن الموضوع لا يعبر عن مطلبنا ألا وهو تعارف الحضارات ، فقد كشف الدكتور زكي الميلاد من خلال رسالة نصية عبر الإيميل عن تقديمه مشاركة في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا لمحاضرة عن تعارف الحضارات، حضرها جمع من الأساتذة والطلبة.[5]

(1) صايم عبد الكريم :المرجع السابق ، ص 179.
(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(3) المرجع نفسه ، ص 180.
(4) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.
(5) رسالة نصية عن طريق البريد الالكتروني zakialmilad@almilad.org ،بتاريخ16/ماي/2022 الساعة 22.59

بعد عرض مجموعة من المؤتمرات والندوات واللقاءات التي تطرقت إلى نظرية التعارف الحضاري سواء بتقديم زكي الميلاد لمداخلاته حضوريا أو بعرض الفكرة لتكون موضوعا لمداخلات مختلف الباحثين ، من مختلف أقطار العالم العربي والإسلامي ، نخلص إلى القول أن النظرية مازالت لم تحظى بعد بالتفاف المفكرين ودعمهم الكامل على المستوى العالمي ، لذلك لا يمكن الجزم بمصيرها فالأمر مازال مجهولا.

لكن بنظرة أكثر تفاؤلا يمكننا القول أن كل هذه الأعمال ما هي إلا نقطة في بحر ما قدم حول التعارف الحضاري ، الذي تبدو بشائر نجاحه – كفكرة نظرية – واضحة المعالم ، ومحاولة العالم الإسلامي تجسيده كخطوة في مشروع حضاري عمليا ، وربما ستعمل هذه المؤتمرات واللقاءات الدولية على نشر النظرية وإيصالها إلى جميع أنحاء العالم ، بما فيه العالم الغربي ، في ظل وجود تنامي عربي إسلامي هناك .

الخاتمـــــــة

الخاتمة:

بعد عرضنا بالبحث والتحليل لمختلف المحطات التي شكلت نظرية تعارف الحضارات، يمكننا حوصلة ما قدمناه في النقاط التالية:

* اعتبر زكي الميلاد الحضارة بمعنى الحضور ، الذي يعطي معاني المشاركة والانفتاح والاندماج في العالم ومواكبة تطوراته أما الإضافة التي قدمها الميلاد هي ربطه المفهوم الخلدوني " الحضر " بمفهوم الحضور ، ولأن الحضارة كثيرا ما تتداخل مع مفهومي الثقافة والمدنية لذلك كان لزاما علينا توضيح مفهوميهما حسب وجه نظر زكي ، مستنتجا أن الثقافة هي قوة وطاقة روحية وأخلاقية يكتسبها الإنسان اكتسابا ، ومن ثمة فهي سابقة عن الحضارة ، بل هي التي تصنع الحضارة ، ولا وجود لحضارة دون ثقافة أما المدنية فهي حالة من النهوض والتقدم الذي يسهم في بناء الحضارة ، ويشترط الميلاد المحافظة على الهوية الإسلامية أثناء بناء المدنية .

* أما التعارف فقد ربطه بالنص القرآني في الآية الثالثة عشر من سورة الحجرات ، وقد توقف عند المفهوم بالشرح والتحليل فأقر بذلك أن التعارف هو الوصول إلى الأخر والتعرف إليه وتبادل المعرفة معه بلا توقف أو انقطاع والالتزام بقيم الاحترام المتبادل وإلغاء فكرة السيطرة ، ويتم ذلك عن طريق التواصل الكوني والانفتاح العالمي ، وبهذا نفهم أن هناك ترابط بين مفهوم التعارف والتواصل لذلك فرق زكي الميلاد بينهما معتبرا التعارف أشمل من التواصل.

* إن الغوص في نظرية تعارف الحضارات جعلها في حاجة إلى استجلاء بعض المفاهيم الأخرى المرتبطة بزكي الميلاد ، منها المشروع الثقافي ويعني به ذلك المنهج الذي يسلكه أي مفكر لمعالجة مختلف المشاكل المتعلقة بالحضارة ، وهو عند زكي الميلاد يقوم على أربعة نقاط نذكر منها : التأكيد على قيمة الثقافة والإعلاء من شأنها ، الاهتمام بدراسة الفكر الإسلامي وضرورة انفتاحه على التطورات العالمية ، الاهتمام بوحدة العالم الإسلامي وأخيرا المسألة الحضارية وهي من أكثر المفاهيم تداولا عند الميلاد ويعني بها التفكير على مستوى الحضارة وإعادة تقييمها وطرح التساؤلات حولها .

* لكل نظرية منهج تقوم عليه لذلك بنى زكي الميلاد نظرية تعارف الحضارات مؤسسا لها مستندا على ثلاث خطوات هي:

الخطوة أولى : مرحلة الفحص والنقد ، حيث تعرض لأطروحتي الصدام والحوار والحضاري بالتحليل والنقد ، معتبرا أن كلا الأطروحتين لا يمكن أن تقدم حلا للأزمات القائمة بين الحضارات ، خاصة وأن هدف كليهما موجه صوب الحضارة الغربية ، فإذا كان الصدام هو الشكل الأكثر شيوعا بين الحضارات ، فإنه يقوم حتما على فكرة الإقصاء للطرف الأضعف ، وهذا ما يخالف الطبيعة البشرية ، وإذا كان الحوار ذو أبعاد إنسانية نبيلة وسامية ، فإن صاحب الأطروحة روجيه غارودي لم يكن موجها أفكاره الإصلاحية إلى العالم الإسلامي بقدر ما كان يبحث عن حل ينقذ الحضارة الغربية من مختلف الأزمات الحضارية .

الخطوة الثانية: مرحلة الأصل والمثال ، وهي المرحلة التي بحث فيها الميلاد على حل بديل عن الأطروحات السابقة مستندا إلى الأصل القرآني في قوله تعالى" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُم شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** " [الحجرات ،الآية13]. فسمى هذه الآية بآية التعارف ، وعليه فالحل الأمثل لشكل العلاقات بين الحضارات يكون بالتعارف الذي يلغي فكرة المركزية ويرد جميع الناس إلى أصل واحد ، كما يهدف إلى سياسة التعايش والتسامح ، وبذلك استخلص زكي الميلاد أهم المرتكزات التي تقوم عليها نظرية تعارف الحضارات ، وقد ضرب الميلاد مثالا واقعيا على التعارف وهو تعارف الأمة الإسلامية مع نفسها في الحج.

الخطوة الثالثة: مرحلة القياس والاختبار ، وهي المحطة الأخيرة التي اختبر فيها نظريته بوضعها في ميزان النقد ، لمعرفة مواطن القوة والضعف فيها ، ليستنتج في الأخير أن نظرية تعارف الحضارات هي الحل الأمثل للمشاكل الحضارية .

* رغم ذلك لا يمكن إنكار العوائق التي تعترض النظرية خاصة في ظل وجود رفض من قبل الآخر للتعارف كما أن الأمة الإسلامية في حد ذاتها لم تستطع بعد تحقيق هذا التعارف لكونها مازالت تتخبط في المشاكل العقائدية والطائفية التي لا طائل من ورائها غير التشتت والتفرق ، وغيرها من العوائق التي تحتاج إلى وضع جملة من الحلول نذكر منها على سبيل المثال الدعوة إلى نشر أطروحة التعارف في المحافل الفكرية حتى يكون لها حضورا أوسع ، وبذلك تكتسب هذه النظرية أهمية كونها نظرية خلاقة.

* إن تعارف الحضارات كنظرية أقل ما يقال عنها أنها فعلا فرضت وجودها داخل الأوساط الأكاديمية مما جعلها توضع على محك النقد ، فاختلفت رؤى الناقدين والدارسين لها ، بين متخوف ، وبين داع لتفعيلها

فقد أبدى الدكتور كمال الدين إمام تخوفه من اقترابها من فكرة التواصل عند هابرماس ، لكن بددت هذه المخاوف بعد نقاش مع زكي الميلاد ، في المقابل نجد الدكتورة نادية مصطفى التي اعتنت بمشروع الحوار الحضاري داخل القطر العربي ، فقد أبدت إعجابها بالنظرية لدرجة أصبحت تنادي فيها بتعويض الحوار بالتعارف ، أما عن صاحب فكرة التدافع الحضاري الدكتور محمد عمارة فلم يرفض التعارف بل أكد على أنه تمت ممارسته قديما وتاريخ الحضارة الإسلامية يشهد على ذلك ، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من دعا إلى التعارف بين الحضارة الإسلامية والحضارات المجاورة .

* وكخطوة تهدف إلى دعم نظرية تعارف الحضارات تمت الإشارة إلى مختلف الندوات واللقاءات والمؤتمرات والبحوث الجامعية والمناهج الدراسية التي كلها تدعوا إلى تفعيل التعارف بين الحضارات ،وف هذا النطاق فقد تمت دعوة زكي الميلاد إلى العديد من المؤتمرات داخل العالم العربي لمناقشة نظريته ، كما اعتمدت هذه الأخيرة في بعض المقررات الدراسية على غرار ما فعلت دولة الإمارات .

وأخيرا يمكننا القول أن نظرية تعارف الحضارات رغم أنها لم تصبح بعد فكرة عالمية الانتشار إلا أنها تمتلك المقوم الذي يؤهلها لذلك . ونحن بدورنا نأمل أن تنتشر فكرة التعارف الحضاري عالميا وذلك كونها مبنية على قاعدة متينة ، كما أنها لا تتعارض مع القيم الإنسانية .

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

المصادر :

1 – زكي الميلاد : الإسلام والإصلاح الثقافي ، مركز آفاق للدراسات والبحوث ، ط2، 2006 .

2 – زكي الميلاد : الإسلام والمدنية حوارات حول الفكر الإسلامي وقضاياه ومشاكله وإشكالياته، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1 ، 2007

3 – زكي الميلاد : المسألة الثقافية ، من اجل بناء نظرية في الثقافة ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي بيروت، ط2، 2010 .

4 – زكي الميلاد : المسألة الحضارية كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط2 ، 2008

5 – زكي الميلاد : المسألة الحضارية كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ط1 1999.

6 – زكي الميلاد : نحن والعالم، من أجل تحديد رؤيتنا إلى العالم،مؤسسة الانتشار العربي ،بيروت–لبنان،ط1 1434هـ/2013م .

7 – زكي الميلاد: تعارف الحضارات ، دار الفكر ، دمشق ، ط،20061 .

8 – زكي الميلاد: تعارف الحضارات ، رؤية جديدة لمستقبل العلاقات بين الحضارات، دار الكتاب اللبناني بيروت ط1، 2014.

المراجع :

1 – ابن خلدون: مقدمة – كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1، 1999.

2 – أبو النور حسن، أبو النور حمدي: يورجينهابرماس الأخلاق والتواصل، إشراف احمد عبد الحليم عطية المكتبة الفلسفية التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2012.

3 – المهدي المنجرة : الحرب الحضارية ألأولى، قصر النيل ، مكتبة الشروق، ط1.

4 – حسن مصدق: النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

5 – روجيه غارودي: في سبيل حوار الحضارات، تر عادل العوا، بيروت ، دار عويدات.

6 – صامويل هنتنجتون : صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي ، تر مالك عبيد أبوشهيوة ومحمود محمد خلف ، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا ، ط1.

7 – صامويل هنتنجتون:صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي،تر طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة، 1999.

8 – علي عبود المحمداوي: خطاب الهويات الحضارية من الصدام الى التسامح ، دار الأمان، الرباط، ط1 ،2019

9 - قيس نصر راهي: صدام الحضارات دراسة نقدية في جينالوجيا المفهوم ، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ، ط1 ، 2017م.

10 – مالك بن نبي :آفاق جزائرية، تر الطيب الشريف، مكتبة النهضة الجزائرية، ط4.

11 – مالك بن نبي: شروط النهضة، تر عبد الصبور شاهين، دار الفكر ، دمشق، 1996 .

12 – مجموعة من العلماء: التعايش والتعارف في الإسلام مفاهيم ميسرة، منظمة التعاون الإسلامي، جدة ط1441،2هـ.

13 – محمد العربي بن عزوز :زمن هنتنجتون صدام الحضارات ونهاية التاريخ،القاهرة،دار النهضة .

14 – مصطفى خليل خضير : أطروحات التجديد في الفكر السياسي العربي الإسلامي المعاصر زكي الميلاد أنموذجا مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة ، ط1، 1439 هـ/2018م.

15 – نادية مصطفى – علا ابو زيد: خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، ط2 1428هـ/2007م .

16 – نصر محمد عارف : الحضارة ، الثقافة ، المدنية، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط2 ، 1994.

17 – نصر محمد عارف: نظريات التنمية السياسية المعاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار القارئ العربي ،مصر، 1994.

المعاجم والموسوعات :

1 – ابن منظور : لسان العرب، حرف باب الراء ، ج4، بيروت، دار صادر، ط 1 ، 1955.

2 – أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل احمد خليل، مجA_G1، منشورات عويدات، بيروت– لبنان، ط2، 2001.

3 – جميل صليبا ، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، 1982.

4 – مجموعة من المؤلفين : المعجم الوسيط،ج2 ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ط2.

المجلات والدوريات :

1- حسين آل غزوي : مؤتمر تعارف الحضارات الإسكندرية 19/18 مايو 2011م، مجلة الكلمة السنة الثامنة عشر خريف 2011م ، العدد 73 .

2- زكي الميلاد : الحضارة والسياسة، مطالعة في نظرية صامويل هنتنجتون ،،مجلة الكلمة ، العدد 113 صيف 2021م/1341هـ.

3- زكي الميلاد : الفكر الإسلامي وقضايا العولمة، مجلة الكلمة، العدد 20، السنة 5، (بيروت، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث 1998).

4- زكي الميلاد: تعارف الحضارات...وكيف تطورت ؟ ،مجلة الفيصل، صفر –ربيع الأول 1438هـ/نوفمبر- ديسمبر 2016، العددان 481-482.

5- صايم عبد الكريم: الحضارات بين الحوار والتصادم والتعارف ، مجلة الكلمة ، العدد 80 ، السنة 20 صيف 2013م/1434هـ .

6- عزيزة السبيني: تعارف الحضارات في ظل الأسرة الإنسانية الواحدة، صحيفة تشرين ثقافة وفنون الأربعاء 16 كانون الثاني 2008

7- عطية فتحي الويشي : الحضارة وإشكالية المصطلح، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، العدد 16 1990، طرابلس.

8- غريبي مراد : تقارير ومتابعات ، مجلة الكلمة ، العدد 78 السنة العشرون شتاء 1434هـ/2013م بيروت.

9- ناجمولاي :الدراسات الفلسفية ودورها في بناء التحالف الحضاري، قراءة في أطروحات زكي الميلاد، مجلة الكلمة، العدد 92، 2016/10/09.

10-يحي اليحياوي: في القابلية على التعارف على هامش اطروحة تعارف الحضارات ، مجلة الكلمة العدد 58، السنة 15، شتاء 2008م/1429هـ.

الرسائل الجامعية:

1 –شبلي هجيرة : اشكالية مستقبل العلاقة بين الحضارات زكي الميلاد نموذجا ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة ، قسم العلوم الإنسانية ، شعبة الفلسفة ، 2013/2012.

المواقع :

1- حروف عربي موسوعة المحتوى العربي https//horofar.com بتاريخ:2022/06/06).

2- زكي الميلاد : الإسلام والمدنية تقدم وتراجع فكرة المدنية في مرحلتي الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر.https://thaqafatuna .com

3- زكي الميلاد : المشروع الثقافي مكونات ونظريات ، https://wwwalmilad.org

4- زكي الميلاد: من فكرة المدنية الى فكرة الحضارة ، مركز الإشعاع الإسلاميhttps://www.islam4u.com

5- زياد عبد الكريم النجم : نظرية تعارف الحضارات نحو مخرج مفاهيمي يبرز خصوصية الحضارة العربية الإسلامية ، الحوار اليوم 2011/07/31 ، https://www.alhiwartoday.net.note .

6- سمية غريب : زكي الميلاد ونظرية تعارف الحضارات،eljazaireljadida.dz

7- محمد السماك: مفهوم التعارف والاختلاف ،الإتحاد ، الخميس يونيو، 2004، https://www.alitihad.ae

8- منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة، https://www.icesco.org

9- نادية محمود مصطفى: حوار الحضارات على ضوء العلاقات الدولية الراهنة ، رسالة تقريب ، العدد 32.https://www.iranarab.com

بريد إلكتروني :

- ايميل الدكتور زكي الميلاد :zakialmilad@almilad.org

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
المقدمة.....	01
الفصل الأول : التحديد الفلسفي للحضارة والتعارف.....	09
المدخل.....	12
السيرة الذاتية لزكي الميلاد.....	10
المبحث الأول : مفهوم الحضارة ، الثقافة والمدنية.....	13
أولا :المفهوم اللغوي للحضارة.....	13
ثانيا :المفهوم الإصطلاحي للحضارة.....	14
ثالثا: المفهوم التداولي للحضارة.....	21
رابعا : علاقة الحضارة بالثقافة والمدنية.....	21
المبحث الثاني : مفهوم التعارف ، التواصل ، المشروع الثقافي والمسألة الحضارية.....	26
أولا :المفهوم اللغوي للتعارف.....	26
ثانيا : المفهوم الإصطلاحي للتعارف.....	26
ثالثا : علاقة التعارف بالتواصل.....	29
رابعا : المشروع الثقافي والمسألة الحضارية.....	30
الفصل الثاني : تعارف الحضارات الطرح البديل عن الصدام والحوار الحضاري.....	35
المدخل.....	35
المبحث الأول : فكرتي صدام وحوار الحضارات ونقد زكي الميلاد لهما.....	36
أولا : فكرة صدام الحضارات.....	36
ثانيا : نقد زكي الميلاد لفكرة صدام الحضارات.....	39
ثالثا : فكرة حوار الحضارات.....	40
رابعا : نقد زكي الميلاد لفكرة حوار الحضارات.....	42
المبحث الثاني : تعارف الحضارات من المرتكزات الى العوائق.....	45
أولا : مرتكزات نظرية تعارف الحضارات.....	45
ثانيا : نموذج تطبيقي لتعارف الحضارات في الحج.....	53
ثالثا : عوائق تعارف الحضارات و الحلول المقترحة	55
رابعا : أهمية وأهداف نظرية تعارف الحضارات.....	60

الفصل الثالث: مقاربات نقدية حول نظرية تعارف الحضارات..... 66
المدخل..... 66
المبحث الأول: تعارف الحضارات في ميزان النقد..... 67
أولا محمد كمال الدين إمام..... 67
ثانيا : نادية محمود مصطفى..... 70
ثالثا :منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (الأيسيسكو)..... 71
رابعا :محمد عمارة..... 74
المبحث الثاني : تعارف الحضارات في العالمين العربي والإسلامي..... 79
أولا :تعارف الحضارات في الإمارات العربية..... 79
ثانيا : تعارف الحضارات في تونس..... 80
ثالثا : تعارف الحضارات في مصر..... 80
رابعا : تعارف الحضارات في سوريا..... 83
خامسا : تعارف الحضارات في الجزائر..... 84
سادسا : تعارف الحضارات في ماليزيا 85
الخاتمة..... 88
قائمة المصادر والمراجع..... 92
الملحق..... 97
فهرس الموضوعات..... 99

الملحـــق

الملحـــق

جدول بأهم المراسلات عبر البريد الإلكتروني يتضمن ما زودني به الأستاذ زكي الميلاد من مصادر، وهي عبارة عن نسخ إلكترونية بصيغة word وpdf.

التاريخ (اليوم)	الوقت	المرفقات
يوم الثلاثاء : 2021/11/02	07 سا و24 د	إستشارة بشأن موضوع البحث لتفادي التكرار.
يوم الثلاثاء : 2021/11/09	07 سا و34 د	كتاب تعارف الحضارات المطبوع.
يوم الجمعة : 2021/11/12	07 سا و 33 د	كتاب المسألة الحضارية.
يوم السبت : 2022/01/15	09 سا و 31 د	مناقشة حول عنوان المذكرة.
يوم الأحد : 2022/04/03	12 سا و 29 د	إستفسار الأستاذ عن سبب إختيار الموضوع.
يوم الأربعاء : 2022/04/13	12 سا و 29 د	توضيح بشأن الطبعتين المختلفتين لكتاب المسألة الحضارية.
يوم الثلاثاء : 2022/05/11	09 سا و 23 د	إرسال مجلة الكلمة العدد 80 ونسخة من لقاء دمشق حول تعارف الحضارات في ظل الأسرة الإنسانية الواحدة.
يوم الجمعة : 2022/05/13	08 سا و 15 د	إرسال ورقة مؤتمر ماليزيا وملخص ورقة مؤتمر إسطنبول .
يوم الإثنين : 2022/05/16	14 سا و 59 د	توضيح بشأن المحاضرة المتعلقة بتعارف الحضارات التي تم إلقاؤها في الجامعة الإسلامية العالمية بكوالا لمبور.
يوم الثلاثاء : 2022/05/18	07 سا و 45 د	إرسال مجلة الكلمة العدد 78 .

الملخص

يندرج موضوع هذه المذكرة ضمن فلسفة التاريخ و الحضارة ، ويعالج شكل من أشكال العلاقة بين الحضارات وهو التعارف للمفكر السعودي زكي عبد الله أحمد الميلاد الذي حمل على عاتقه ضرورة إيجاد حل للخروج بالعالم من مأزق الحروب الحضارية ، والتخلص من تلك النظرة التشاؤمية التي فسرت طبيعة العلاقة بين الحضارات على أساس الصراع والصدام ، فكان نقده موجها صوب أطروحة المفكر الأمريكي صامويل هنتنجتون التي تهدف إلى إبادة جماعية للإنسانية بدوافع عرقية ، دينية ، حضارية . كما لم يغفل فكرة حوار الحضارات للمفكر الفرنسي المسلم روجيه غارودي التي رغم إيجابيتها إلا أنها كانت موجهة لخدمة الحضارة الغربية ، وعليه يمكن القول أن زكي الميلاد انطلق في فكرة تعارف الحضارات من نقد أطروحتي الصدام والحوار الحضاري ، ليؤسس نظرية ذات مرجعية دينية بنظرة تفاؤلية هادفة إلى تفعيل سنة التعارف وهي سنة كونية مستوحاة من روح القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات الآية 13].

فنظرية التعارف بأسسها ومرتكزاتها يمكن القول أنها أطروحة ذات أبعاد إنسانية حضارية راقية ، حاول من خلالها زكي الميلاد إلغاء فكرة المركزية ورسم مستقبل العلاقة بين الحضارات على أساس العيش المشترك والسلام المشروط بقيم الحوار والتجاور والتعارف والتواصل الذي تفرضه وحدة الأصل الإنساني .

الكلمات المفتاحية: الحضارة ، التعارف ، الصدام ، الحوار .

Abstract

The topic of this research papier is about thé philosophy of history and civilization and it deals with one aspect which is thé relation between thé civilizations mainly the acquaintance between them that the saudi scholar zaki abdullah ahmed almilad has dealt with to find ways to avoid conflits between civilizations all over the world . he has criticised thé American researcher Samuel Huntington who advocates thé complète eradication of the humanity for ethnic, religious and civilzational purposes. hé has also focused on the idea of the dialogue between civilizations of thé french « Muslim » Roger Garodi though it was positive, it had been more favorable for the western civilization. So we can say that zaki almilad started from thé idea of the clash or the acceptable and dialogue between civilizations to set an optimistic religious theory to highlight thé idea of knowing and acceptons thé other which is clearly started in the holly coran . Allah says : « Humans, I created you from a male and a female to become different peoples. those who do good deeds are thé moustly appreciated by Allah» hujurat, verse 13 .

The theory of aquaintance is mainly based on prestigious human pillars . Zaki almilad tried to eliminate thé idea of centralisation of the civilizations on the commen fate, peace through dialogie , tolérance , acquaintance , communication as universal human values .

Key words : Civilization, Acquaintance, Clash, Dialogue.

Le résumé

Le sujet de ce mémoire fait partie de la philosophie de l'histoire et de la civilisation. Il aborde une forme de relation entre les civilisations, à savoir la connaissance de l'intellectuel saoudien Zaki Abdullah Ahmad Al-Lam, qui a nécessité de trouver une solution à l'impasse du monde dans les guerres civilisées. Et se débarrasser de cette vision pessimiste, qui a expliqué la nature de la relation entre les civilisations sur la base du conflit et de la confrontation. La thèse ", dont la critique était dirigée contre la thèse du penseur américain *Samuel Huntington* visant au génocide ethnique, religieux et culturel de l'humanité. Il n'a pas non plus perdu de vue l'idée d'un dialogue des civilisations par l'intellectuel musulman français *Roger Garudi,* qui, bien que positif, a été dirigé au service de la civilisation occidentale. Et ainsi on peut dire que ZAKI Al-milad de naissance a entrepris l'idée de familiariser les civilisations avec la critique des thèses de choc et de dialogue culturel. Établir une théorie de la référence religieuse avec une vision optimiste visant à activer l'année de la connaissance, une année cosmique inspirée par l'esprit du Saint Coran, selon les paroles de Dieu tout-puissant : "**O gens, nous vous créons à partir de la mémoire et de la féminisation de votre peuple et avant vous**."

La théorie de la familiarité avec ses fondements peut être considérée comme une thèse d'élévation des dimensions humaines civilisationnelles, à travers laquelle ZAKI Al-milad a essayé d'abolir l'idée de centralisation et de façonner l'avenir des relations entre les civilisations sur la base de la coexistence et de la paix, sous réserve des valeurs de dialogue, de bon voisinage, de familiarité et de communication imposées par l'unité des origines humaines.

Mots-clés : civilisation, connaissance, affrontement, dialogue.